

الأسطورة العسكرية عبد الرحمن العافقي

بطل معركة بلاط الشهداء

شعبان ١١٤هـ. أكتوبر ٧٣٢م

المفكر الإسلامي
أحمد عزوز الفرخ



دار البدر

مؤسسة شروق

909
6
F2

الأسطورة العسكرية
عبد الرحمن الغافقي
بطل معركة بلاط الشهداء
شعبان ١١٤ هـ . أكتوبر ٧٣٢ م

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

رقم الایداع: ٢٠١٥/١٩٠٤

الترقيم الدولي: 5 - 34 - 6226 - 977 - 978

الأسطورة العسكرية

عبد الرحمن الغافقي

بطل معركة بلاط الشهداء

شعبان ١١٤ هـ . أكتوبر ٧٣٢ م

تأليف

الفكر الإسلامي

أحمد عزيز الفريج

دار البدر

مؤسسة الشروق

١٦ ش البيطار - الأزهر

٠٢٢٥١١٤١٥١ - ٠١٠١٢١١١٧٤١

حَكَامُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

باقية ورد إلى الحبيبتين

هما الحبيبتان نورهما خير لي في الدنيا وإذا حل بهما الظلام لأى إنسان وصبر
عوضه الله وتعالى عنهما الجنة .

جاء فى الحديث القدسي: «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه - " يقصد عينيه " - ثم صبر
عوضته منهما الجنة». ذات يوم فكر أحد العلماء فى طريقة عمل العين ووصل به
التأمل إلى صنع آلة التصوير " الكاميرا " ... لكن الفرق بينهما كبير جدًا. أسمعك
أيها القارئ الحبيب: ياه ... إنها نعمة عظيمة من نعم الخالق وكلنا نقول ذلك اعترافًا
وشكرًا .

هذا الجسم الصغير الكروى يعمل السنين متحركًا يسبح عضلات. ينقل ما يراه
من سماء وارض وبحار، هذه العين نافذة سحرية حقًا وما هي إلا خلايا ودماء تبعث
برسائلها إلى المخ عن طريق العصب البصرى.

وهذا الجهاز الصغير - العين - يحتاج إلى حراسة وصيانة. وبالحراسة تقوم
الأهداب والحاجب والجفون وتقوم الدموع بغسلها وصيانتها وأقوم أنا بإبعادها عن
مصادر الاجهاد فلا أقرأ فى إضاءة شديدة أو ضعيفة ولا قرب شاشة التلفزيون
ودائمًا استخدم عيوني فيما يرضى الله سبحانه وتعالى وفى قراءة القرآن الكريم
والموسوعات الإسلامية وسير الصحابة والتابعين وما يحبه الله ورسوله من وسائل
العلم والمعرفة.

وكل مكونات عيناى معجزة مدهشة فى عملها للتناسق . ومن ذلك العدسة الشفافة
التي توجد خلف إنسان العين والشبكية التي تقوى على خلايا الرؤية .. وما أكثر الآيات
التي تحدثنا عن نعمة الابصار .. شكرًا يا إلهى على نعمائك ونور عيناى وبصيرتى .

صاحبك وحبيبك

أحمد عزوز الفرخ

الإسكندرية

"لولا انتصار شارل مارتل الهمجي
على المسلمين وقائدهم الغافقي،
لظلت إسبانيا تنعم بسماحة الإسلام،
ولما تأخر سير المدينة في أوروبا
ثمانية قرون"

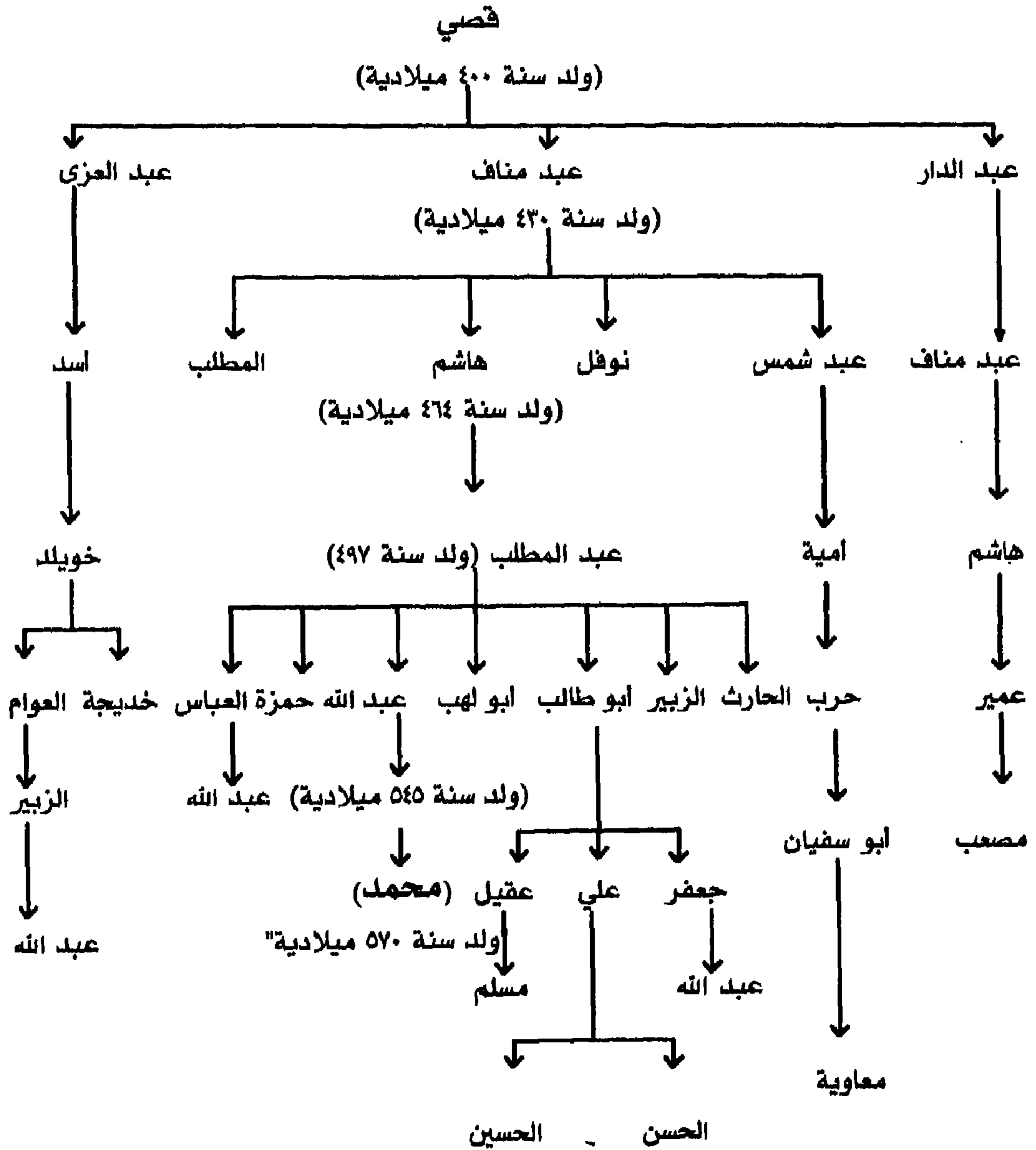
أحد مؤرخي الفرنجة

هنري دي شامبون

Henery de Hambone

عبد الرحمن الغافقي صورة صادقة
لخالد ابن الوليد،
وموسى بن نصير،
وطارق بن زياد،
في علو الهمة وسمو المقاصد.

المؤرخون



محمد رسول الله ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب " شيبه " بن هاشم " عمرو " بن عبد مناف " المغيرة " بن قصي " زيد " بن كلاب " حكيم " وسمي كلاباً لأنه كان يبيع التمر - أي بائع التمر - بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر " قريش " ابن مالك بن قيس " النضر " بن كنانة بن خزيمة بن مدركة " عامر " بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وأيضا فهو محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمه هي السيدة/ أمّنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة " - وهو الأخ الشقيق (لقصي

ابن كلاب) وأمهما هي فاطمة بنت سعد بن سَيل " - بن كلاب بن مرة بن كعب بن
لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس بن
مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) [الأحزاب: الآية ٥٦].

من كاتب هذه السطور سليل قبائل الأنصار الخزرج

محب لأهل البيت

الأنصاري الخزرجي / أحمد عزوز أحمد الفرخ

الإسكندرية

* * *

ولابد لنا أن نعرف من هو محمد رسول الله ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب " شيبه " ابن هاشم " عمرو " بن عبد مناف " المغيرة " بن قصي " زيد " بن كلاب " حكيم " وسمى كلاباً لأنه كان يبيع التمر - أي بائع التمر - بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر " قريش " بن مالك بن قيس " النضر " بن كنانة بن خزيمة بن مدركة " عامر " بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم " حديث شريف " صحيح مسلم "

وأيضاً فهو محمد رسول الله ﷺ أمه هي السيدة/ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة " - وهو الأخ الشقيق (لقصى بن كلاب) وأمهما هي فاطمة بنت سعد بن سيل " - بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وصلى الله عليك وعلى أهلك وزوجاتك أمهات المؤمنين حبيبات رسول الله وأصحابك ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أمها: برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة. جدتها لأمها: أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي. ووالدة أم حبيب أي جدة " برة بنت عبد العزى " : برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.

اسم جدة آمنة " لأبيها " هي: قيلة بنت أبي كبشة وجز بن غالب الخزاعي. ولم يكن " عبد الله بن عبد المطلب " - فتى بني هاشم - بين الذين تقدموا لخطبة " آمنة " - زهرة قريش - مع أنه الجدير بأن يحظى بيدها دونهم جميعاً، فما كان فيهم من يدانيه شرفاً ورفعة وفتوة.

أبوه: " عبد المطلب بن هاشم " وفيه العمود والشرف، ولم يبق لهاشم عقب إلا منه، وقد شرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه وعظم خطرة فيهم

وأمة: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان... من صميم البيت القرشي، وقد أنجبت لعبد المطلب: الزبير، أبا طالب، عبد الله، وأم حكيم البيضاء - توأمة عبد الله - وعاتكة، وبرة، وأميمة، وأروى. وجدة " عبد الله " لأبيه: " سلمى بنت عمرو بن زيد لبید بن خدّاش بن عمر بن غنم بن عدي بن النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج " أجداد ورهط كاتب هذه السطور. الأنصارى الخزرجى / أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى الفرخ " التى كانت لا تنكح الرجال، لشرفها في قومها، حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، إذا كرهت رجلاً فارقت

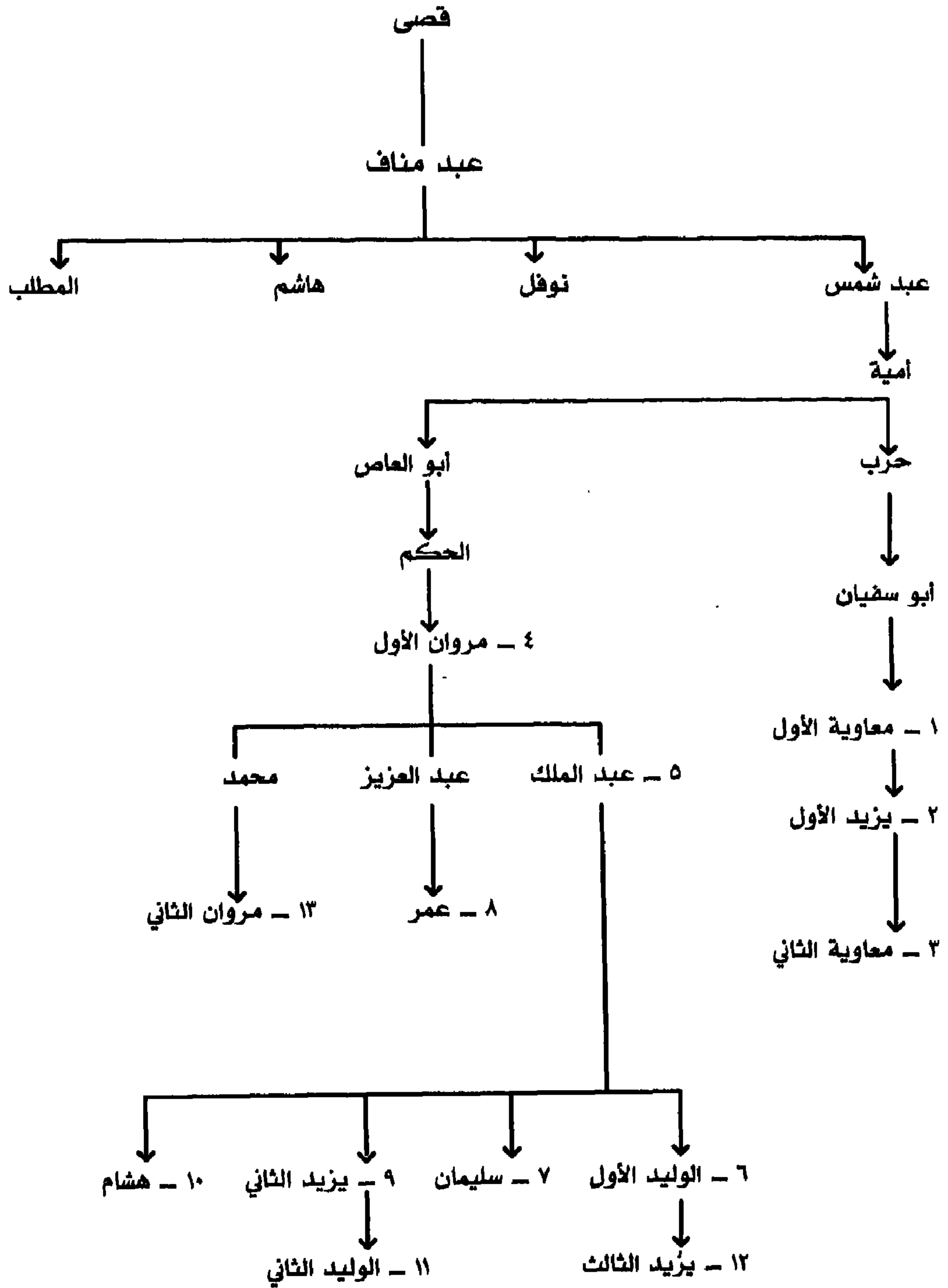
وجدته لأمة: " تخمر بنت عبد بن قصي ابن كلاب بن مرة " .

وأما: " سلمى بنت عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر

محب لأهل البيت

الأنصارى الخزرجى / أحمد عزوز أحمد الفرخ الإسكندرية

الدولة الأموية



فقد تولى من الفرع الأول ثلاثة خلفاء، ومن الثانى عشرة ومدة خلافة هذه الدولة
تبتدىء من اليوم الذي بويع فيه معاوية بن أبى سفيان بيعه عامه في ٢٥ / ربيع/
٤١ هـ ... وتنتهى بمقتل مروان الثانى بن محمد فى ٢٧ / ذو الحجه / ١٣٢ هـ ...
وهى: " ٩١ سنة وتسعة أشهر " وهى المدة التى حكمت فيها الدولة الأموية.

جمعها وكتبها سليل القبائل الأنصار الخزرج
الأنصارى الخزرجى / أحمد عزوز أحمد الفرخ
الإسكندرية

تم مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير^(١) سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) بتدبير بعض رؤساء الجيش من العرب أمثال أيوب بن حبيب اللخمي، وحبيب بن أبي عبيدة، وزيايد بن عذرة البلوي، وزيايد بن نابغة التميمي، واجتمع جند الأندلس على أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير، وأول ما فعله أيوب أن نقل العاصمة إلى قرطبة، والواقع إن قرطبة كانت جديرة بالاختيار لحسن موقعها وقربها من داخل الأندلس، على أن أيوب هذا لم يطل عهده في الإمارة، فعزله الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك بعد ستة أشهر من ولايته، وبعث محمد بن يزيد، والي أفريقيا عاملاً من قبله إلى الأندلس هو الحر بن عبد الرحمن الثقفي، فقدم في ذي الحجة سنة ٩٧ هـ (٧١٦ م)، وعلى الرغم من قصر عهد أيوب بن حبيب فإنه يبدو أنه وجه جهوده نحو الشمال لتطهير البلاد تمامًا من أي مقاومة قوطية، وقد ترك اسمه على مدينة من تأسيسه هي قلعة أيوب GALATAY UB التي تقع إلى الشمال الشرقي من طليطلة^(٢).

ولا يذكر المؤرخون العرب شيئاً يتعلق بغزو الحر بن عبد الرحمن الثقفي لجنوبي غالة (فرنسا) ولكن كوديرة يذكر أنه غزا بلاد غاله حتى مدينة أربونة، ويعتمد في هذا على نص لإيزيدور الباجي^(٣)، ولم يتجاوز عهد الحر الثقفي السنتين والثمانية أشهر، إذ كان سليمان بن عبد الملك قد توفي في صفر سنة ٩٩ هـ وخلفه عمر بن عبد العزيز.

ما كاد أمير المؤمنين، وسادس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز (خامس الخلفاء هو الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب) رضى الله عنهما ينفذ يديه من تراب سلفه سليمان بن عبد الملك، حتى بادر يعيد النظر في أمراء الأمصار^(٤)، ويعزل ويولي.

(١) ابن بسام الشتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول من المجلد الثاني ص ٢٦٨ - ٢٧٢.

(٢) حسين مؤنس، فجر الأندلس ص ٢٤٤.

(3) Codra, limites pcobables De LA Congaisa Arade en la pirenaiaca, P.TTT

(٤) الأمصار: الأصقاع والولايات.

وكان في طليعة من استعمله رجلاً فاضلاً صالحاً "السمح بن مالك الخولاني" فقد أسند إليه ولاية "الأندلس" وما جاء وراءها من المدن المفتوحة من بلاد "فرنسا"، وأمره أن يخمس أرضها ويخرج منها ما كان عنوة خمساً لله من أرضها وعقارها، ويقر القرى في يدى غنامها بعد أن يأخذ الخمس، فقدم السمع الأندلس في رمضان سنة (١٠٠ هـ) الموافق (أبريل سنة ٧١٩ م) وكتب إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز يسأله أن يصف له الأندلس وأنهارها وبحرها، ويبدو أنه كان لا يعلم شيئاً عن الإسلام في الإندلس، وكان يرى إجلاء أهل الأندلس منها، لانقطاعهم عن المسلمين، فكتب إليه السمع يعرفه بقوة الإسلام فيه وكثرة مدنها، وشرف معاقليها، فلما استوثق عمر من أهمية الأندلس وثبات أقدام المسلمين فيها، أولاها جزءاً كبيراً من عنايته، فبعث إلى الأندلس رجلاً اسمه "جابر" لتخميس الأندلس، أي ضبط أموالها وتنظيم خراجها، وهو أمر لم يسبق لأحد من الخلفاء قبله العناية به، وأمره عمر، أن "يحمل الناس على طريق الحق ولا يعدل بهم عن منهج الرفق، وأن يخمس ما غلب عليه من أرضها وعقارها"^(١)، فعزل السمع ولاية الأندلس عن إفريقية وميزفيها أرض العنوة من أرض الصلح ليصبح الخمس، وأخرجت البطحاء المعروفة بمصلى بقبلى قرطبة فى الخمس، وجعلت مقبرة للمسلمين^(٢).

وهكذا مضى السمع بن مالك الخولاني في سياسته الإصلاحية، وأخذ ينظم إدارة الأندلس من الناحية المالية، وفي الوقت نفسه كان يقوم بإخراج البعوث الإسلامية إلى بلاد غالة، ثم كتب إلى عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي يعلمه أن "مدينة قرطبة تهدمت من ناحية غربها، وكان لها جسر يعبر عليه نهرها، ووصفه بحمله وامتناعه عن الخوض الشتاء عامة، فإن أمرنى أمير المؤمنين ببنيان سور المدينة فعلت، فإن قبلى قوة على ذلك من خراجها بعد عطايا الجند ونفقات الجهاد، وإن أحب صرفت صخر ذلك السور فبنيت جسرهم"^(٣).

(١) ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٣٤.

(٢) الرسالة الشريفة ص ٢٠٥، ٢٠٧.

(٣) آجنار مجموعة ص ٢٤.

وهكذا كان السماح يود أن يفعل شيئًا لتعمير قرطبة، إما أن يعيد بناء السور المتثلّم من جهة الغرب فتتحصن العاصمة الأندلسية، ويصبح في إلا مكان أن تقف أسوارها في وجه أى غاز، بعد أن كانت متفتحة للداخلين إليها والخارجين منها، وإما أن يرمم القنطرة من حجارة السور ثم يبنى السور باللبن. إذ كان المسلمون حديثي عهد بالأندلس لا يعرفون بعد أماكن مقاطع الصخور^(١)، فورد جواب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بأن تبنى القنطرة من صخور السور، ويجبر ما تثلّم منه باللبن.

واستخدم السماح الأحجار الضخمة المتخلفة من أجزاء السور الروماني المهدمة بعد ترميمه في إعادة بناء قنطرة قرطبة، التي كانت تعد إحدى أعاجيب الدنيا. وقد شادها على نهر " قرطبة " العظيم، ليعبر عليها الناس والجند. وكانت تصل بين مدينة قرطبة وبين الرض الجنوبي، المعروف بشقندة، فلقد بلغ طولها ثمانمائة باع^(٢).

وارتفاعها ستين باعًا.

وعرضها عشرين.

وبلغ عدد حناياها^(٣) ثمانى عشرة حنية.

وعددًا أبراجها^(٤) تسعة عشر برجًا.

وهى ما تزال قائمة تنعم بها " إسبانيا " حتى يومنا هذا ... وأنفق السماح على بنائها مما تجمع له من مال التخميس بعد عطايا الجند ونفقات الجهاد.

وعندما ألقى الأمير الجديد رحالة في بلاد " الأندلس " وانطلق يفتش عن أعوان

(١) نفس المرجع. يقول صاحب الرسالة الشريفة " فإنه كان لا يعرف يومئذ في جهة قرطبة مقطع صخر ص ٢٠٧. "

(٢) الباع: مقدار من اليدى.

(٣) حناياها: أقواسها.

(٤) أبراجها: أبراجها: الحصون التى تحصنها.

الصدق والخير، فقال لمن حولة: أبقى في هذه الديار أحد من التابعين؟ فقالوا: نعم أيها الأمير.

إنه ما يزال فينا التابعي الجليل عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي. ثم ذكروا له من عمله بكتاب الله، وفهمه لحديث رسول الله، وبلائه في ميادين الجهاد، وتشوقه إلى الاستشهاد، وزهده بعرض الدنيا الشيء الكثير. ثم قالوا له:

إنه لقي الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن أبيه، وأنه أخذ عنه ما شاء الله أن يأخذ. وتأسى به أعظم التأسى.

دعا السمع بن مالك الخولاني عبد الرحمن الغافقي إلى لقائه، فلما جاءه رحب به أكرم الترحيب وأدنى مجلسه منه، ثم قعد ساعة من نهار يسأله عن كل ما عن له. ويستشير في كثير مما أشكل عليه. ويرويه^(١) ليقف على طاقاته...

فإذا هو فوق ما أخبر عنه، وأعظم مما ذكر له، فعرض عليه أن يوليه عملاً من كبير أعماله في " الأندلس " .

فقال له: أيها الأمير، إنما أنا رجل من عامة الناس. ولقد وفدت إلى هذه الديار لأقف على ثغر من ثغور^(٢) المسلمين. ونذرت نفسي لمرضاة الله عز وجل. وحملت سيفي لإعلاء كلمته في الأرض.

وستجدني - إن شاء الله تعالى - الزم لك من ظلك ما لزمك الحق .. وأطوع لك

(١) يرويه: يقدره ويقومه.

(٢) ثغور المسلمين: المنافذ بين حدود المسلمين وحدود أعدائهم.

من بنانك^(١) ما أطلعت الله ورسوله.

من غير ولاية ولا إمارة.

ويهمنا من عهد السماح بن مالك الخولاني أمر له أهمية كبرى هو جهاده في غاله من أراضي إفرنجة كلها، وضمها إلى عقد^(٢) دولة الإسلام العظمى. وأن يتخذ من ديارها الرحبة طريقها إلى دول " البلقان "^(٣).

وأن يفضى من دول " البلقان " إلى " القسطنطينية " ، تحقيقاً لبشارة الرسول الأعظم عليه أفضل السلام وأزكى التحية^(٤).

وكانت الخطوة الأولى لتحقيق هذا الهدف الكبير، إنما تتوقف على احتلال مدينة " أربونة " NARBONNE - مدينة في جنوب فرنسا قرب البحر الأبيض المتوسط بسهل لتغودوك. ذلك أن أربونة كانت من أكبر المدن " الفرنسية " التي تجاور بلاد " الأندلس " وكان المسلمون كلما انحدورا من جبال " البرنية " ، PYREMEES وهى سلسلة جبال بين فرنسا وإسبانيا تمتد من خليج غاسكونيا في المحيط الأطلسى حتى خليج ليون في المتوسط ٤٣٠ كم عرفها المسلمون باسم برانس تنتصب أمامهم كما ينتصب المارد الجبار.

وهى فوق ذلك مفتاح " فرنسا " الكبرى.

ومطمح الطامحين إليها.

وكانت غالة قد انقسمت عقب سقوط الدولة الرومانية إلى عدة ولايات منها ولاية سبتمانيا أى المشتمة على سبعة مدن هى: أربونه وبنمة NIMES وآجد Agde وبيزية BEZIERS، ولوديف Lodeve، وقرقشونة

(١) بنانك: إصبعك، يقال: فلان أطوع من بنانى: " أى إنه يفعل كل ما أمره به " .

(٢) العقد: القلادة الثمينة.

(٣) دول البلقان: شبه جزيرة واقعة جنوب شرقي أوروبا، تقسمها اليوم رومانيا، وألبانيا، وصربيا والبوسنة والهرسك، "يوغسلافيا سابقاً"، وبلغاريا وتركيا، واليونان.

(٤) قال عليه الصلاة والسلام: «لتفتحن عليكم القسطنطينية، فنعم الجيش جيشها، ونحن الأمير أميرها».

Carcdssonne، ومجلون Maguejone وكانت أربونة هي عاصمة هذه الولاية. وإلى الشمال الغربي من ولاية سبتمانيا تقع دوقية أكيثانيا، وعاصمتها برديل Bordeau الواقعة على مصب نهر الجارون، وإلى الشمال الشرقي من ولاية سبتمانيا يقع إقليم بروفانس وعاصمته مدينة ابنيون Avignon على وادي ردونة (نهر الرون)، ويقع غربى هذا النهر إقليم برغنديّة، وعاصمته مدينة لودورن (ليون). أما المنطقة الواقعة شمال نهر اللوار حتى ألمانيا الحاضرة، فكانت خاضعة للدولة الميروفنجية.

حاصر السمع بن مالك الخولاني مدينة "أربونة" ثم عرض على أهلها الإسلام أو الجزية ... فعز عليها ذلك وأبوه.

فهب يهاجمهم الهجمة تلو الأخرى، ويقذفهم بالمنجنقات حتى سقطت المدينة العريقة الحصينة في أيدي المسلمين بعد أربعة أسابيع من الجهاد البطولى الذى لم تشهد "أوربا" نظير له من قبل.

ثم بادر القائد المظفر المنتصر، فتوجه بجيشه الجرار إلى مدينة "تولوز" عاصمة مقاطعة "أوكتانية".

فنصب حولها المنجنقات من كل جهة.

وقدّمها بآلات الحرب التى لم تعرف لها "أوربا" نظيرًا من قبل. حتى أوشكت المدينة المنيعّة الحصينة أن تخربن يديه.

عند ذلك وقع ما لم يكن في حسابان أحد.

فلترك الحديث للمستشرق الفرنسى "رينو" Renewou ليسوق لنا خبر تلك المعركة قال "رينو":

لما أصبح النصر قاب قوسين من المسلمين أو أدنى، هب "دوق أوكتانية" يستنفر لحربهم البلاد والعباد.

وأرسل رسله فطافوا "أوربا" من أقصاها إلى أقصاها.

وأندروا ملوكها وأمراءها باحتلال ديارهم، وسبى نساءهم وولدانهم.
 فلم يبق شعب في "أوربا" إلا أسهم معه بأشد مقاتليه بأساً، وأكثرهم عددًا...
 وقد بلغ من وفرة الجيش^(١) وعنف حركته، وثقل وطأته، ما لم تعرف له الدنيا
 نظيراً من قبل ... حتى إن الغبار المتطاير تحت أقدامه قد حجب عن منطقة "الرون
 " عين الشمس ... RHONE: نهر في سويسرا وفرنسا ٨١٢ كم من أغزر أنهار
 فرنسا، يروى جنيف، وليون LYON، وفالنس، واثينيون، وآرل ARLES
 ويصب في البحر المتوسط غرب مرسليليا.

ولما تدانى الجيشان خيل للناس أن الجبال تلاقى الجبال، ثم دارت بين الفريقين
 رحى معركة ضروس لم يعرف التاريخ لها مثيلاً من قبل.

وكان السمع أو "داما" كما كنا نسميه، يظهر أمام جنودنا في كل مكان.

ويتواهب أمام عسكريه في كل اتجاه.

وفيما هو كذلك أصابته رمية من سهم، فخر صريعاً عن جواده وكانت المعركة
 بالقرب من طولوشة Toulouse وانهزم المسلمون، وقتل منهم عدد كبير،
 واستشهد السمع بين من استشهد من المسلمين، وذلك في يوم عرفة سنة ١٠٢ هـ^(٢)
 (١٠ يونيو سنة ٧٢١ م).

فلما رآه المسلمون مجندلاً، فوق الثرى، فت الموقف في عضدهم.

وبدأت صفوفهم تتداعى.

وأصبح في وسع جيشنا الجرار أن يبيدهم عن بكرة أبيهم.

لولا أن تداركتهم العناية الربانية بقائد عبقرى عرفته "أوربا" فيما بعد، هو،

(١) وفرة الجيش: كثرة الجيش وكثافته.

(٢) يذكر ابن حيان أنه قتل في طرسونة من أرض الأندلس (شمال تطيلة من إقليم أرغونة) انظر ابن القرطبي
 تاريخ علماء الأندلس رقم ٥٨٤ - ابن عذري ج ٢ ص ٣٥ (يذكر أنه استشهد في طرسونة) ولكنه استشهد
 غازياً بأرض إفرنجة (المقري، نفح الطيب ج ١ ص ٢١٩) في بلدة طرسكونة Tarascon (انظر حسين
 مؤنس: فجر الأندلس ص ٢٤٦ حاشية ١)، وفيما يختص بهذه الواقعة ارجع إلى شكيب أرسلان، تاريخ
 غزوات العرب ص ٧٣ .

عبد الرحمن الغافقي.

فتولى أمر انسحابهم بأقل قدر من الخسائر، وعاد بهم إلى "إسبانيا".
لكنه عقد العزم على أن يعيد الكرة علينا من جديد.
وبعد.

فهل رأيت الغيوم كيف تنقشع عن البدر في الليلة الظلماء.
فيستضيئ بنوره التائهون.
ويهتدي بسناه الحيارى؟

هكذا انقشعت معركة "تولوز" عن بطل الإسلام الفذ عبد الرحمن بن عبد الله
الغافقي.

وهل أبصرت العطاش الموفين على الهلاك في جوف الصحراء كيف يلوح لهم
الماء.

فيمدون أيديهم إليه، ليخترقوا منه غرفة ترد إليهم الحياة؟
هكذا مد جند المسلمين أيديهم إلى القائد العظيم ينشدون عنده النجاة..
ويبايعونه على السمع والطاعة.
ولا غرو فقد كانت معركة "تولوز" أول جرح غائر أصيب به المسلمون منذ
وطئت أقدامهم "أوربا".

وكان عبد الرحمن الغافقي بلسم هذا الجرح.
واليد الحانية التي أحاطته بالعناية والرعاية.
والقلب الكبير الذي أفاض عليه الحنان.

وكانت هذه هي ولايته الأولى، ولم يدم فيها أكثر من أشهر، إذ أقام يزيد بن أبي
مسلم وإلى أفريقيا مكانة عنبة بن سحم الكلبي، فقدم عنبة في صفر سنة ١٠٣ هـ
(٧٢٢ م). ولما قتل يزيد بن أبي مسلم استعمل الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك
على إفريقية بشر بن صفوان، فأمر عنبة (١٠٣ - ١٠٧ هـ)، وكانت الأندلس في

اضطراب بسبب الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في قرقشونة، وبسبب النزاع بين العصبية العربية التي استفحل امره في الأندلس في ذلك الوقت، وكان العرب قد شغلوا بتصفية ثاراتهم القبلية عن القضاء على بقايا القوط في الأندلس، وعن إتمام إخضاع البربر في إفريقية. لذلك قضى عنبسة أربع سنوات من ولايته في تنظيم أمور دولته، وكان من الشخصيات الكبرى في عصر الولاة، فقد سلك نفس السبيل الذي سلكه السموح الخولاني من قبل، وكان يرى مواصلة غزو بلاد إفرنجة، فما كادت أمور ولايته تستقر حتى بادر بإعداد جيوشه السير شمالاً في بلاد غالة، وفكر بادئ ذي بدء في تدعيم خط الدفاع أمام أربونة، فافتتح مدينة قرقشونة عنوة، ثم استولى على مدينة نيمة دون مقاومة، وأخذ من أهلها رهائن نقلهم إلى برشلونة. وتذكر مدونة مواسياك Chronicon Moissiacense أن عنبسة واصل زحفه حتى وصل إلى وادي نهر ردونة، وانطلق في زحفه سريعاً مصعباً في النهر دون أن يقابل معارضة جدية، حتى تمكن من الوصول إلى نهر الساء دون، وتوغل في إقليم برغندية الواقع شمال شالون Chalon، واستولى على مدينة أوتون autun، ثم نهبها جيشه في ٢٢ أغسطس سنة ٧٢٥ م. وذكر بعض المؤرخين أن عنبسة لم يقف إلى هذا الحد من الغزو، بل اجتاحت جيوشه مدينة أوزه Uzes، وفيهيه Viviers، وفالانس Valence، وتدفقت الموجه إلى ليون lyon، وماسون Macon وشالون Chalon، ومن هناك انقسمت إلى تيارين أحدهما حمل الدمار إلى ديجون وبيز Beze Dijon، ولانجر Lagres، بينما انحرق الآخر إلى أوتون، ولم تقف هذه الموجه المدمرة إلا أمام بلدة سانس Sens وهنا توقف انطلاق المسلمين بسبب شجاعة أسقف هذه المدينة وهو الأسقف إيبن Ebbon. عزم عنبسة على العودة إلى قرطبة بعد أن وصلته أنباء بحدوث بعض الاضطرابات هناك. ولكن جموعاً من الفرنجة تصدت له في طريق عودته فاستشهد في إحدى المواقع سنة ١٠٧ هـ (٧٢٥ م)، فقام بقيادة الجيش والعودة إلى أربونة عذرة بن عبد الله الفهري، وهكذا تمت الغارة الكبرى التي اخترق فيها عنبسة أرض غالة غازياً،

ونلاحظ أن عنبة بعد أن تقدم إلى قرقشونة عدل عن مهاجمة أكتينا إلى إقليم بروفانس وبرغندي، ويرجع سبب عدولة عن التوغل في أكتينا إلى صداقة للدوق أودو، الذي كان مخلصاً وقتئذ لقارة (شارل بن بين ديرستال Pepin d'heristal حاجب ملوك الدولة الميروفنجيه).

وتؤكد المصادر اللاتينية. أن دوق أودو صاهر مونوسة البربري بأن زوجة من ابنته لامبيجي Lampeqic أو مينين Minine وأنه ساعد عنبة في غزو برغندي ليعيد خطرهم عن بلاده من جهة ولأنه لم يكن وقتئذ على علاقة طيبة مع دول الفرنجة من جهة أخرى، ويذكر الدكتور حسين مؤنس أن " العرب انصرفوا عن أرضيه لأنه كان حليفهم، وربما كان هذا الحلف هو السبب فيما وفق إليه المسلمون من انتصارات فاقت كل ما كان منتظما في حملة عنبة " - حسين مؤنس ، فجر الأندلس ص ٢٥٣ -.

وتولى عذرة بن عبد الله الفهري إمارة الأندلس بعد مصرع عنبة، ويسميه ايزيدور الباجي حذيرة Hodera، ويبدو أن عذرة كان ينوي مواصلة الجهاد في بلاد غالة بعد هزيمة عنبة ومقتله، ولكنه شغل عن ذلك بالخلافات التي نشبت بين المسلمين في الأندلس في ذلك الوقت، وينسب إليه " رينو Renewou المستشرق الفرنسي " أعمال العنف والتدمير التي أصابت كنائس إقليم ليون وبورجونى، مثل كنيسة فيين ولودون وأوتون وسان مارتان^(١)، ولكن أستبعد أن يكون المسلمون في عهد عذرة هم أصحاب هذه الأعمال، فقد كانت ولاية عذرة قصيرة الأمد، وقد تكون ثمة غارات شنها المسلمون المرابطون في أربونة، أما الغزو الحقيقي فلم يستأنفه المسلمون إلا بقدم عبد الرحمن الغافقي، إذ تولى الأندلس بعد أن عزل عذرة في ربيع الأول سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م) عدة ولاية لم يغز أحدهم في غالة، وهم يحيى بن سلمة الكلبي، وحذيفة بن الأحوص الأشجعي،

(١) حسين مؤنس، فجر الأندلس ص ٢٥٨ - ٢٦٠ - ينسب الأستاذ سيد أمير على هذه الأعمال إلى الهيثم بن عبيد الكنانى (انظر مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكي، بيروت ١٩٦١ ص ١٤٦).

وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي، والهيثم بن عبيد الكناني، ومحمد بن عبد الله الأشجعي، ولم تتجاوز مدة حكم كل منهم عن عدة شهور. ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من قبل عبيد الله بن الحبحاب والى إفريقية، فدخلها سنة ١١٣ هـ (٧٣١ حم)، وكان عبد الرحمن الغافقي من أعظم قواد المسلمين في الأندلس، وكان معروفًا بحسن القيادة، والشجاعة وقوة الشكيمة، وكان قد أبلى بلاء حسنًا في موقفه طولوشة التي قتل فيها السمع الخولاني، فتركت هزيمة المسلمين أثرًا عميقًا في نفسه، لذلك كان تواقًا إلى ملاقات الفرنجة، راغبًا في الانتقام منهم وجاء تقليده لولاية الأندلس في وقت انبعثت فيه الفتنة بين العرب في هذه البلاد بسبب العصبية القبلية، وكان عبد الرحمن إلى جانب صفاته السابقة معروفًا بنزاهته وحياده، لا يتحيز لفريق على فريق، ولا يتعصب لعنصر على عنصر آخر، ولذلك قوبلت ولايته بفرحة عمت قلوب أهل الأندلس، واستبشر الناس لولايته، وشرع عهده برفع المظالم عن الناس، وكان يطوف في المدن ويحقق في شكايات الرعية، لا يميز بين مسيحي ومسلم، وعزل كثيرًا من القواد والولاة الذين ثبت مظالمهم للرعية.

ولقد أوجعت أنباء النكسة الكبرى التي منى بها المسلمون في "فرنسا" فؤاد الخلافة في "دمشق".

وأوقد مصرع البطل الشجاع "السمح بن مالك الخولاني" في صدرها نار الحمية للأخذ بالثأر.

فأصدرت أوامرها بإقرار الجند على مبايعتهم لعبد الرحمن الغافقي.

وعهدت إليه بإمارة "الأندلس" من أقصاها إلى أقصاها.

وضمت إليه ما جاورها من الأراضى "الفرنسية" المفتوحة وأطلقت يده في العمل كيفما يشاء.

لاغرو فقد كان الغافقي حازمًا، تقيًا نقيًا، حكيماً مقدامًا.

بادر عبد الرحمن الغافقي منذ أسندت إليه إمارة " الأندلس "، يعمل على استعادة ثقة الجند بأنفسهم.

واسترداد شعورهم بالعزة، والقوة، والغلب.

وتحقيق الهدف الكبير الذي تطلع إليه وعمل على نيلية قادة المسلمين في الأندلس.

ابتداءً من موسى بن نصير - فاتح المغرب الأقصى والأندلس - وانتهاء بالسمح ابن مالك الخولاني.

فلقد انعقدت همم هؤلاء الأبطال على الانطلاق من "فرنسا" إلى "إيطاليا" و"ألمانيا" والانتقال منهما إلى "القسطنطينية".

وجعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية، وتسميته ببحر الشام بدلاً من بحر " الروم ".

لكن عبد الرحمن الغافقي كان يوقن بأن الإعداد للمعارك الكبرى إنما يبدأ بإصلاح النفوس، وتزكيتها..

ويعتقد أنه ما من أمة تستطيع أن تحقق غاياتها في النصر إذا كانت حصونها مشققة، مهددة من الداخل.

لذلك هب يطوف بلاد "الأندلس" بلدًا إثر بلد، ويأمر المنادين أن ينادوا في الناس.

من كانت له مظلمة عند وال من الولاية، أو قاض من القضاة، أو أحد من الناس فليرفعها إلى الأمير.

وأنه لا فرق في ذلك بين المسلمين وغيرهم من المعاهدين.

ثم طفق ينظر في المظالم مظلمة مظلمة.

فيقتص للضعيف من القوى ... ويأخذ للمظلوم من الظالم.

ثم جعل يحقق في أمر الكنائس المغتصبة، والمستحدثة.

فيرد ما قضت به العهود إلى أصحابه.
 ويهدم ما بنى منها بالرشوة ثم نظر في أمر عماله واحدًا واحدًا...
 فعزل من ثبتت له خيانتة وانحرافه.
 وولى مكانه من استوثق من حكمته، وحنكته، وصلاحه.
 وكان كلما دخل بلدًا من البلدان دعا الناس إلى صلاة جامعة، ثم وقف فيهم
 خطيبًا، وانطلق يحضهم على الجهاد.
 ويرغبهم في الاستشهاد.
 ويمينهم برضوان الله، والفوز بثوابه.
 وقد قرن عبد الرحمن الغافقي القول بالفعل، ودعم الآمال بالأعمال.
 فطفق منذ اللحظة الأولى لولايته، يعد العتاد، ويستكمل السلاح.
 ويرمم المعقل، ويبني الحصون.
 ويشيد الجسور، ويقيم القناطر.
 وقد دأب عبد الرحمن الغافقي على الاجتماع بقيادة الجند ووجوه القوم في كل
 بلد يحله.
 وكان ينصت بجوارحه إلى كل ما يقولون.
 وبدون جميع ما يقترحون.
 وينتفع من سائر ما ينصحون.
 وقد أخذ نفسه في هذه المجالس بأن يسمع كثيرًا، وأن يتكلم قليلًا. وكما كان
 يلتقى الغافقي بأعيان المسلمين، فقد كان يجتمع مع كبار أهل الذمة من المعاهدين.
 وكثيرًا ما كان يسألهم عما خفى عليه من أمور بلادهم، وما يشغل باله من أحوال
 ملوكهم، وقوادهم.

وفى ذات مرة استدعى أحد كبار المعاهدين من أبناء "فرنسا"، وأدار معه حديثًا متنوعًا متعدد الموضوعات ثم قال له:

ما بال ملككم الأكبر "شارل" لا يتصدى لحربنا.

ولا ينصر ملوك المقاطعات علينا؟!

فقال: أيها الأمير.

إنكم وفيتم لنا بما عاهدتمونا عليه، فمن حقكم علينا أن نصدقكم القول فيما تسألوننا عنه.

إن قائدكم الكبير موسى بن نصير قد أحكم قبضته على "إسبانيا" كلها، ثم طمحت همته لأن يجتاز جبال "البرنيه" التى تفصل بين ديار "الأندلس" وبلادنا الجميلة.

لجأ ملوك المقاطعات وقسستها إلى ملكنا الأعظم، وقالوا له:

ما هذا الخزى الذى لصق بنا وبحفدتنا أبد الدهر أيها الملك؟!

فلقد كنا نسمع بالمسلمين سماعًا.

ونخاف وثبتهم علينا من جهة مشرق الشمس، وما هم أولاء قد جاءونا الآن من مغربها.

فاستولوا على "إسبانيا" كلها، وامتلكوا ما فيها من العدة والعتاد، واعتلوا قمم الجبال التى تفصل بيننا وبينهم.

مع أن عددهم قليل.

وسلاحهم هزيل.

وأكثرهم لا يملك درعًا تقيه ضربات السيوف، أو جوادًا يمتطيه إلى ساحات القتال.

فقال لهم الملك:

لقد فكرت فيما خطر لهم على بالكم كثيرًا.

وأطلت النظر وتعمقت في التفكير فيه طويلاً.
 فرأيت ألا نتعرض لهؤلاء القوم في وثبتهم هذه، فانهم الآن كالسيل الجارف
 يقتلع كل ما يعترض طريقه، ويحتمله معه، ويلقى به حيث يشاء.
 ووجدت أنهم قوم لهم عقيدة ونية، تعينان عن كثرة العدد، ووفرة العدد.
 ولهم إيمان، وصدق، يقومان مقام الدروع، والخيول.
 ولكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم.
 ويتخذوا لأنفسهم الدور والقصور...
 ويستكثروا من الإماء والخدم...
 ويتنافسوا فيما بينهم على الرئاسة...
 فعند ذلك تتمكنون منهم بأيسر السبل، وأقل الجهد.
 فأطرق عبد الرحمن الغافقي إطرقة حزينة، وتنهد تنهداً عميقاً، وفض المجلس
 وقال: حي على الصلاة، فقد اقترب وقتها.

* * *

لبث عبد الرحمن الغافقي عامين كاملين يعد العدة للغزو الكبير.
 أعد الجيوش، وعبأ الجنود.
 وقوى الهمم، وأحدها كما تحد السكاكين، وعمر القلوب.
 واستنجد بأمير "إفريقية" فأمدّه بنخبة من الجند، يتقدون ويتحرقون شوقاً إلى
 الجهاد.

ويتلهفون لهفة على الاستشهاد.

وتجمعت حوله جموع المتطوعين الذين كانوا يتوقون للقتال، تحت قيادته،
 وتكون من هذه الحشود جيش هائل يتراوح عدده ما بين سبعين ألف ومائة ألف،
 جلهم من البربر، إذ أن العرب كانوا وقتئذ مشغولين بمنازعاتهم القبلية.

ثم أرسل على "مونوسة البربري" أمير الثغور وكان عاملاً على شرطانية Cerdana من جبال البرت بأن يشاغل العدو بغاراته إلى أن يتقدم عليه هو بجمهرة الجيش.

لكن مونوسة البربري هذا كان يمتليء حقداً على ضغينة لكل أمير بعيد المهمة عظيم الطموح، يقدم على عمل كبير يرفع ذكره في الأنام، ويحمل غيرة من الولاة العمال.

أضف إلى ذلك أنه قد ظفر في إحدى غاراته السابقة على "فرنسا" بابنة "دوق أكتانية" وتدعى: "منين" (١).

وكانت "منين" هذه فتاة ريانة الشباب، بارعة الجمال.

قد جمعت إلى فتنة الحسن عزة الملك.

ومزجت بين رونق الصبا، ودلال بنات القصور.

فشغفت فؤاده حبا، وهام بها وجداً، وحظيت عنده كما لم تحظ زوجة.

وقد زينت له أن يهادن أباهما، فعقد معه معاهدة: أمنه فيها من غارات المسلمين على مقاطعته التي كانت تتاخم الثغور "الأندلسية".

فلما جاءه أمر عبد الرحمن الغافقي بالزحف على بلاد حميه "دوق أكتانية" سقط في يده وتحير فما عاد يدرى ما يفعل.

وبات حيران لا يدرى ماذا يفعل؟

لكنه ما لبث أن بادر فكتب إلى الأمير الغافقي يراجعه فيما أمره به، ويقول له:

(١) كان مونوسة البربري قد تقرب من دوق أدو صاحب أكتانيا، وتزوج من ابنته الجميلة لمبيجية Lampegie وأصبح حليفاً له، بعد أن عقد معه معاهدة ومهادنة آمنة بها من غارات العرب، فلما ورد أمر عبد الرحمن الغافقي بالسير على بلاد حميه، راجع مونوسة الأمير عبد الرحمن، فغضب عبد الرحمن من تردد مونوسة وتلكئه، وأرغمه على السير في هذه الغزوة، فأبلغ، مونوسة حماءه سراً بذلك، ونصحه بالتأهب والاستعداد، فعلم عبد الرحمن بما فعله مونوسة، فعمل على القبض عليه، ولكنه فرمى بعض أعوانه في الجبال فأحاطته فرقة من جيش عبد الرحمن، وقبض عليه، واحتز رأسه، وأسرت الأميرة الأكتانية وأرسلت إلى بلاط الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك جارية بدمشق. (انظر شكيب أرسلان ص ٨٨).

إنه لا يستطيع أن ينقض عهد "دوق أكتيانية" قبل انقضاء أجله.

فاستشاط عبد الرحمن الغافقي منه غضباً...

وبعث إليه يقول: إن العهد الذي قطعتَه للفرنجة دون علم أميرك لا يلزمه، ولا يلزم جيوش المسلمين بشيء.

وإن عليك أن تبادر إلى إنفاذ ما أمرتك به دون تردد ولا تلكؤ...

فلما يئس "عثمان بن أبي نسعة" وهو أسم "مونوسة البربري" على حد بعض الروايات من حمل الأمير على الإقلاع عن عزمه، بعث إلى حميه رسولاً يخبره بما جرى.

ويدعوه لأن يأخذ حذره.

لكن عيون الأمير عبد الرحمن الغافقي كانت ترصد حركات ابن أبي نسعة وسكناته... فنقلت إلى الأمير أخبار اتصاله مع العدو.

فبادر الغافقي وجهاز كتيبة اختار رجالها من ذوي الشدة والبأس.

وعقد لواءها لمجاهد من الكماة المجريين.

وأمره بأن يأتي بعثمان بن أبي نسعة "مونوسة البربري" حياً أو ميتاً.

باغتت الكتيبة معسكر ابن أبي نسعة، وأوشكت أن تظفر به لولا أنه نذر بها في آخر لحظة...

ففر إلى الجبال يصحبه عدد من رجاله.

ومعه زوجته الحسناء "مينين" التي كان لا يفارقها أبداً، ولا يرى الدنيا إلا بها.

فمضيت الكتيبة في إثره، وأحاطت به وبمن معه.

فدافع عن نفسه وعن زوجته دفاع الأسد عن شبله.

وظل يناضل دونها حتى سقط قتيلاً.

وفى جسمه ما لا يحصى من ضربات السيوف، وطعنات الرماح ... فاحتز

الجنود، وحملوه مع الاميرة الحسناء إلى عبد الرحمن الغافقي.
 فلما صارت بين يديه، ورأى جمالها الباهر، غرض من طرفه وأشاح عنها بوجهه.
 ثم أرسلها هدية إلى دار الخلافة.
 فانتهدت حياة الأميرة "الفرنسية" الحسناء في حرم الخليفة الأموي هشام بن
 عبد الملك في "دمشق"
 قال الشاعر الانكليزي "سوذى Southy" يصف جيوش المسلمين التي
 غزت "أوروبا" بعد فتح "الأندلس"^(١):
 "جموع لا تحصي ...

من عرب، وبربر، وروم خوارج .
 وفرس، وقبط، وتتر، قد انضموا^(٢) جميعاً تحت لواء واحد ...
 "يجمعهم إيمان ثائر، راسخ الفتوة...
 "وحمية متلظية^(٣) كالشرر، وأخوة مذهلة لا تفرق بين البشر.

* * *

"ولم يكن قادتهم أقل منهم ثقة بالنصر بعد أن ثملوا بحميا^(٤) الظفر ."
 واختالوا بتلك القوة القوية التي لا يقف أمامها شيء.
 "وأيقنوا أن جيوشهم لا يمكن أن يلم بها الكلال ...^(٥) ."
 فهي دائماً فتية مشبوبة^(٦) كما انطلقت أول مرة...
 "وأمنوا بأنها حيثما تحركت شئ في ركابها النصر والغلب ...

(١) من منظومة "سوذى" Southy . Roderic . The Last . ٨٠ Gorths الخاصة "برذريك" أو
 "لودوريق" آخر ملوك القوط في "إسبانيا" .

(٢) انضموا: انضموا.

(٣) متلظية

(٤) ثملوا بحميا الظفر: سكروا بخمر الغلبة

(٥) الكلال: العناء والتعب.

(٦) مشبوبة: متقدة.

وأنها ستندفع دائماً إلى الأمام...
 حتى يصبح الغرب المفلوب كالشرق...
 يطاطيء الرأس إجلالا لاسم محمد...
 وحتى ينهض الحاج من أقاصى المتجمد^(١)...
 إلى أن يطأ بأقدام الإيمان الرمال المحرقة...
 المنتشرة^(٢) على صحراء العرب...
 " ويقف فوق صخور مكة الصلدة.

* * *

لم تكن أيها الشاعر بعيدا عن الحقيقة.
 أو هائما في أودية الخيال في كثير مما قلت.
 فقد كانت الجيوش التي قادها المجاهدون لإخراج أبائك من جاهليتهم
 الجهلاء^(٣) كما وصفت
 ففيها عرب أقوياء بالله هبوا إليكم
 من الشام
 من الحجاز
 من نجد
 من اليمن
 من كل مكان في جزيرة العرب
 كما تهب الريح المرسلّة
 وفيها " بربر " أعزة بالإسلام، تدفقوا عليكم من جبال الأطلسي^(٤) كما

(١) المتجمد: القطب الشمالى.

(٢) المنتشرة: المتساقطة.

(٣) الجهلاء: المغرقة في الجهل.

(٤) جبال الأطلسي: الجبال الواقعة بين المغرب العربى وإسبانيا.

يتدفق السيل العرم^(١)
 وفيه " فرس " عافت^(٢) عقولهم وثنية الأكاسرة^(٣)، وفاءت إلى دين
 التوحيد
 وصراط العزيز الحميد
 وفيها " روم " خوارج، كما قلت
 ولكنهم خرجوا على الظلم، والظلمات
 وانحازوا إلى نور السموات والأرض
 وهدوا إلى دين القيمة^(٤)
 وفيها " قبط " رفعوا عن رقابهم نير العبودية للقيصرة^(٥)
 ليعيشوا كما ولدتهم أمهاتهم أحرارًا في أكناف^(٦) الإسلام
 نعم لقد كان الجيش الذي قاده عبد الرحمن الغافقي وأسلافه لإنقاذ
 أجدادك من الجاهلية ... فيه الأبيض والأسود، والعربي والأعجمي
 لكنهم انصهروا جميعًا في بوتقة^(٧) الإسلام
 فأصبحوا بنعمة الله إخوانًا
 وقد كان همهم - كما ذكرت - أن يدخلوا الغرب في دين الله كما أدخلوا
 الشرق من قبل
 وأن يجعلوا البشرية كلها تطاطئ^(٨) الرأس لإله الناس
 وأن يعم نور الإسلام بطاحكم^(٩) وأوديتكم

(١) السيل العرم: السيل المتدفق الجارف.

(٢) عافت: كرهت واشمأزت.

(٣) الأكاسرة: ملوك الفرس.

(٤) دين القيمة: الدلن المستقيم الذي لا يأتيه الباطل.

(٥) القياصرة: ملوك الروم.

(٦) أكناف الإسلام: حمى الإسلام وحرزه.

(٧) البوتقة: الوعاء الذي يذيب فيها الصائغ الذهب والفضة.

(٨) تطاطئ: تخفض.

(٩) بطاحكم: سهولكم.

وأن تشرق شمسه في كل بيت من بيوتكم
وأن يسوى عدله بين ملوككم وسوقتكم^(١)
وكانوا قد عزموا على أن يدفعوا أرواحهم ثمنًا لهدايتكم إلى الله.
وإنقاذكم من النار

* * *

وبعد ... فإليكم القصة الأخيرة لهذا الجيش.

وخبر بطله الفذ عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي.
تناهت إلى "دوق أكتيانية" الأخبار المفزعة عن مصرع صهره عثمان بن أبي
نسعة "مونوسة البربرى".
وبلغته أنباء النهاية الحزينة التي صارت إليها ابنته الحسناء "منيين".
فأدرك أن طبول الحرب قد دقت.
وأيقن أن أسد الإسلام الهصور عبد الرحمن الغافقي ممس في دياره، أو مصبح.
فتأهب للدفاع عن كل شبر من أرضه، دفاع المستميت.
وأستعد للنضال دون نفسه ومملكته، استعداد المستبسل...
فقد كان يخشى أن يساق هو الآخر أسيرًا إلى دار الخلافة في الشام كما سيق
ابنته.

أو أن يحمل رأسه على طبق، ويطاف به في أسواق "دمشق" كما طيف برأس
"لذريق" ملك إسبانيا من قبل.

لم يكذب الأمير عبد الرحمن الغافقي ظن الدوق.
فانطلق بجيشه الكثيف الجرار من شمال "الأندلس" كما ينطلق الإعصار.
وأنصب على جنوب "فرنسا" من فوق جبال "البرنية" كما ينصب السيل.

(١) سوقتكم: عامتكم.

وكان عدد جيشه الآلاف من المجاهدين.

بين جوانح كل منهم قلب أسد ثائر.

وفى عروقة عزمة مارد.

يُمم الجيش الإسلامي وجهه شطر مدينة "آرل" - ARLES: مدينة في جنوب فرنسا على نهر الرون شمال مرسيليا - الواقعة على ضفاف نهر "الرون". فلقد كان له معها حساب.

ذلك أن "آرل" هذه كانت قد صالحت المسلمين على أن تدفع لهم الجزية. فلما استشهد "السمح بن مالك الخولاني" في معركة "تولوز" Toulouse: مدينة في جنوب فرنسا على نهر الغارون وهي قاعدة محافظة غارون العليا - وتضعض المسلمون لمصرعه، نبذ أهل "آرل" الطاعة، ونكثوا العهد، وامتنعوا عن دفع الجزية.

وقد تناسى "الدوق أودو" ما كان بينه وبين قارلة "شارف مارتيل" واستصرخه، فزحت بجيشه.

وكان خروج البطل عبد الرحمن الغافقي على رأس جيوشه من بنبلونة عاصمة ولاية نبرة في صيف عام ١١٤ هـ (٧٣٢ م) مخترقاً جبال البرت في شعاب رونشقاله، متجهاً رأساً إلى دوقية أكتيانيا، أعظم ولايات غالة في ذلك الوقت، ويبدو أنه أراد أن يؤمن نفسه من الوراء أولاً قبل أن يهاجم أكتيانيا، فبعث فرقة من رجاله إلى وادي رودنة نجحت في استرجاع مدينة آرل Arles الواقعة بالقرب من مصب نهر ردونة والتي كانت قد شقت عصا الطاعة على المسلمين، ويعتقد بعض المؤرخين أن حملة عبد الرحمن على مدينة آرل لا تعدو أن تكون خدعة قصد منها صرف الفرنجة عن الهدف الرئيسي للحملة وهو دوقية أكتيانية ومملكة الفرنجة.

ولما بلغ البطل الفارس عبد الرحمن الغافقي ضواحي المدينة، وجد أن "أود" دوق أكتيانية "قد عبأ قواته الكثيفة عندها.

وحشدها حول تخومها.
وتصدى لرد الزحف الإسلامى عليها.
ثم ما لبث أن التقى الجيشان وجها لوجه.
ودارت بين الفريقين معركة طحون ... قذف خلالها الأسطورة العسكرية الأمير
عبد الرحمن الغافقي بكتائب من جيشه تحب الموت أكثر مما يحب أعداؤها
الحياة، فزلزل أقدام العدو ... ومزق صفوفه.
ودخل المدينة من هذه المرة حرباً.
فأعمل السيف في رقاب أهلها.
وأثخن فيهم إثخاناً.
وغنم منهم غنائم كثيرة عزت على الحصر.
أما الدوق " أود " فقد فر بمن بقى حيّاً من جنوده.
وطبق يعد العدة للقاء آخر مع جيوش المسلمين.
فقد كان يعلم أن معركة " آرل " كانت بداية الطريق، وليست نهايته.
تمنى كاتب هذه السطور ... الأنصارى الخزرجى / أحمد عزوز
أحمد محمد مصطفى الفرخ، أن ليكون من طليعة هؤلاء المجاهدين مع هذا
البطل الأسطورة عبد الرحمن الغافقي، اليمنى الأصل، القحطانى - والأوس
والخزرج " وهما قبائل الأنصار " هم قحطانيون وهى إحدى أنواع العرب، المسماة
بالعاربة ..
وكانت قاطنة فيما بين في دجلة والفرات قبل نزوحها إلى اليمن. والعرب
المستعربة هم العدنانيون أحفاد سيدنا .
إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام وعلى حفيدهم نبي العالمين سيدنا

كَلَامُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ألف سلام وتحية، وكذلك على أهله وأمهات المؤمنين الكاملات المكملات.
ولاسيما الحبيبة الأولى السيدة الفضلى / خديجة بنت خويلد عليها السلام.
عبر البطل الفذ عبد الرحمن الغافقي بجيشه الجرار نهر "الجارون" -
Gronne نهر في جنوب غربى فرنسا ٦٥٠ كم ينبع من إسبانيا ويروى تولوز،
وآجن وبوردو، ويصب في المحيط الأطلسى -، وطفقت كتائبه الظافرة تجوس
مقاطعة "أكتانية" ذات اليمين والشمال، وأخذت المدن والقرى تتساقط تحت
سنبلك خيله كما تتساقط أوراق الشجر في فصل الخريف إذ هبت عليها الرياح
الهُوج. وأضافت المسلمون إلى غنائمهم السابقة غنائم لاحقة لم ترها عين من قبل.
ولم تسمع بها أذن.

وقد حاول دوق "أكتانية" أن يتصدى لهذا الزحف الكبير مرة أخرى فاشتبك مع
المسلمين في معركة ضروس.

لكن المسلمين العظماء ما لبثوا أن هزموه هزيمة طاحنة ساحقة...
وأنزلوا به نكبة ساحقة مدمرة...

ومزقوا جيشه شر ممزق.

وتركوا جنده بين قتيل، وأسير، وهزيم.

ثم اتجه المسلمون إلى مدينة "بوردو" Bordeaux: (مرفأ في فرنسا على
الجارون وهى الآن قاعدة محافظة جيرونده، كبرى المدن الفرنسية آنذاك، وعاصمة
مقاطعة "أكتانية").

وخاضوا مع أميرها معركة لا تقل هولاً عن المعارك السابقة...

استبسل فيها المهاجمون والمدافعون استبسالاً يثير العجب والإعجاب
والدهشة...

لكن المدينة الكبيرة الخطيرة ما لبث أن سقطت في أيدي المسلمين كما سقطت
أخواتها من قبل.

وما لبث أميرها أن قتل في جملة القتلى.
وأحرز المسلمون من غنائم "بوردو" ما هون في أعينهم كل ما أحرزوه من
غنائم.
وقد كان سقوط "بوردو" في أيدي المسلمين فاتحة لسقوط مدن أخرى كثيرة
خطيرة.

أهمها "ليون" ^(١) و"بيزانسون" ^(٢) و"سانس SENS".
وكانت هذه الأخيرة لا تبعد عن "باريس" أكثر من مائة ميل.

١١

(١) LYON: مدينة في جنوب شرقي فرنسا على ملتقى الرون والسون وهي قاعدة محافظة الرون.

(٢) Besancon: مدينة في شرق فرنسا على نهر دو قاعدة محافظة دو.

أهتزت "أوربا" من أقصاها إلى أقصاها لسقوط نصف "فرنسا" الجنوبي كله
في يدى البطل العبقري العسكري عبد الرحمن الغافقي خلال بضعة أشهر...
ودب الصريخ في كل مكان يدعو العجزة والقادرين إلى الوقوف في وجه هذا
الهول المرعب القادم من الشرق.

ويحضهم على التصدي له بالصدور إذا عزت السيوف.
ويدعوهم إلى سد الطريق أمامه بالأجناد إذا انعدم العتاد^(١).
فاستجابت "أوربا" لدعوة الداعي.

وأقبل الناس على الانضواء تحت لواء "شارل مارتل" ومعهم الشجر،
والحجر، والشوك، والسلاح.

واتجة البطل المظفر الأمير عبد الرحمن الغافقي بجيوشه الظافرة نحو مدينة
"تور Tours" طليعة مدن "فرنسا" وفرة في السكان، وقوة في البنيان، وعراقة في
التاريخ بآثارها القديمة، النفيسة الثمينة.

وكانت المدينة - فوق ذلك - تعز وتباهى وتختال على أكثر مدن "أوربا"
بكنيستها التي تضم ديرسان مارتان المشهور، الفخمة، الضخمة، العامرة بجليل
الأعلاق، وكريم النفائس.

فأحاط بها المسلمون إحاطة القيد بالعنق...

وانصبوا عليها انصباب المنون إذا جاء الأجل...

واسترخصوا في سبيل افتتاحها الأرواح والمهيج.

فما لبثت أن سقطت بين أيديهم على مرأى "شارل مارتل" ومسمعه...

وجردوا الكنائس والأديرة من كنوزها، وقتلوا من خصومهم عددًا لا يحصيه إلا

الله.

(١) العتاد: كل ما أعد من سلاح ودواب وآلة حرب.

وأدرك دوق أود عجزه عن صد المسلمين، فاستنجد بقارلة، ووجد قارلة أن من مصلحته مصالحة أود و الاتحاد معه مؤقتا لصد المسلمين، لأن هدفهم التالى كان يتركز على دولة الفرنجة نفسها، خاصة وقد عزا المسلمون بقيادة عنبسة إقليما منها هو برغنديّة، فجمع جيوشه من سائر أنحاء غالة.

وبعث يطلب جنداً من حدود الرين، ووفد هؤلاء الجند الشماليون، وقد زودوا بأسلحة متفوقة على أسلحة المسلمين، ثم إن هؤلاء المحاربون كانوا جنداً أقوياء، لا يقلون عن العرب والبربر في قوة الشكيمة وفي الشجاعة والبطش، وكان القائد العسكري عبد الرحمن الغافقي يدرك تمام الإدراك أهمية المعركة القادمة في مصير غالة "فرنسا"، ولذلك كان يتحرق حماساً للقتال، ولكنه كان يعلم أنه مقبل على مغامرة حربية أشد خطراً من مغامرة طارق بن زياد، فقد كانت ظروف طارق أفضل بكثير من ظروف عبد الرحمن إذ كان التمهيد للفتح الإسلامى واضحاً، فالبلاد منقسمة على نفسها الثورات تجتاح إسبانيا في الشمال وفي الجنوب، وكان طارق يعتمد على حزب آل غيطشة ومواليه ممن كانوا ساخطين على لذريق، وانضم إلى هؤلاء جماعة اليهود الذين هملوا للمسلمين ودلوهم على عورات البلاد وكانوا عملاً هاماً في الفتح. أما عبد الرحمن الغافقي، فكانت ظروفه أقل ملاءمة بكثير من ظروف طارق، لأنه اقتحم بلاداً تختلف عن بلاد الأندلس من حيث المناخ والسكان، كما أنه لم يكن للمسلمين فيها قواعد ثابتة يمكن أن يستمد منها عبد الرحمن ما شاء من النجديات، ثم إن جنود المسلمين كانوا قد أوغلوا في بلادهم وأثقلوا كاهلهم بالغنائم الكثيرة التي يحملونها معهم أينما توجهوا، وكانت هذه الغنائم عبئاً ثقيلاً عليهم، عاقهم عن سرعة الفتح^(١). هذا إلى إمارات غالة "فرنسا" كانت قد تكتلت جميعاً لمواجهة جيوش الإسلام وصدّها إلى الجنوب، ويمكننا أن

(١) ذكر شكيب أرسلان نقلاً عن رينو Renewou الذي اعتمد بدوره على مؤرخ عربى لم يذكر اسمه، أن عبد الرحمن كان يخشى على المسلمين من الغنائم الكثيرة التي كانوا يجرونها وراءهم أثناء زحفهم، وأنه فكر في حملهم على تركها في أرضها لئلا تشغلهم عن القتال، فتكون عليهم وبالا، ولكنه لم يشأ أن يثيرهم عليه في الوقت الذي كان يعمل فيه على توحيد صفوفهم. (انظر تاريخ غزوات العرب ص ١٠٠).

نضيف إلى ما سبق عاملاً آخر كان سبباً هاماً في ركود الإسلام. ذلك هو انقسام المسلمين على أنفسهم^(١). فقد كان جيش عبد الرحمن يتألف من أعداد هائلة من العرب اليمنيين، والقيسيين الذين فرقت بينهم العنصرية القبلية، كما أن البربر الذين يؤلفون العدد الأعظم من الجيش الإسلامي كانوا يحقدون على العرب بعد أن قتلوا زعيمهم عثمان بن أبي نسه وهو اسم "مونوسة"^(٢) ونسى عبد الرحمن الغافقي إن ذلك كله. كان لا يمكن أن يسمح للعناصر المختلفة التي يتألف منها جيشه أن تتعاون فيما بينهما، كما أنه كان يشكل خطراً على وحدة الصف الإسلامي نتيجة لما قد يحدث من خلاف ونزاع بينهما لو مات هو في المعركة، وهو ما حدث بالفعل.

وكان المسلمون قد وصلوا إلى مدينة بوايتيه poitiets ودخلوها بعد أن أحرقوا دير سانت إميليان St,Emilien وكنيسة سانت إيلير St,Hilaire. ثم واصل المسلمون زحفهم إلى الشمال نحو مدينة تور Tours، وما كاد يخرج الجيش من بوايتيه حتى علم عبد الرحمن الغافقي نبأ وصول جيش هائل للفرنجة يقوده قارلة "شارل مارتل".

ثم حدثت المعركة الكبرى في سهل يقع شمال بوايتيه بالقرب من الطريق الروماني الذي يصل شاتلرو chatellerault ببوايتيه، على بعد ٢٠ كم تقريباً إلى الشمال الشرقي من بوايتيه، وقد تكون هذه المعركة قد حدثت بالقرب من موضع يطلق عليه اليوم اسم موسيه لاباتاي moussais la bataille وتصمت المصادر العربية عن ذكر تفاصيل هذه الموقعة الفاصلة، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنها

(١) ذكر المقرئ نقلاً عن ابن خلدون " أن عساكر المسلمين احتلوا البسائط وراء دروب الجزيرة، وتوغلوا في بلاد الفرنجة، وعصفت ريح الإسلام بامم الكفر من كل جهة، وربما كان بين جنود الأندلس من العرب اختلاف وتنازع أوجد للعرب بعض الكرة " ص ٢١٩.

(٢) كان العدد الأعظم من جيش عبد الرحمن الغافقي يتألف من البربر، وقد نغم هؤلاء البربر على عبد الرحمن الغافقي لتنكيهه بزعيمهم مونوسة، فلم يتفق المسلمون على هذه الحملة لهذا السبب، وكان لتفرق كلمتهم أثر في الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في معركة بلاط الشهداء.

كانت كارثة على جيش المسلمين، بحيث نفر قدامى المؤرخين من مجرد ذكرها، فاندرجت أخبارها في زوايا النسيان.

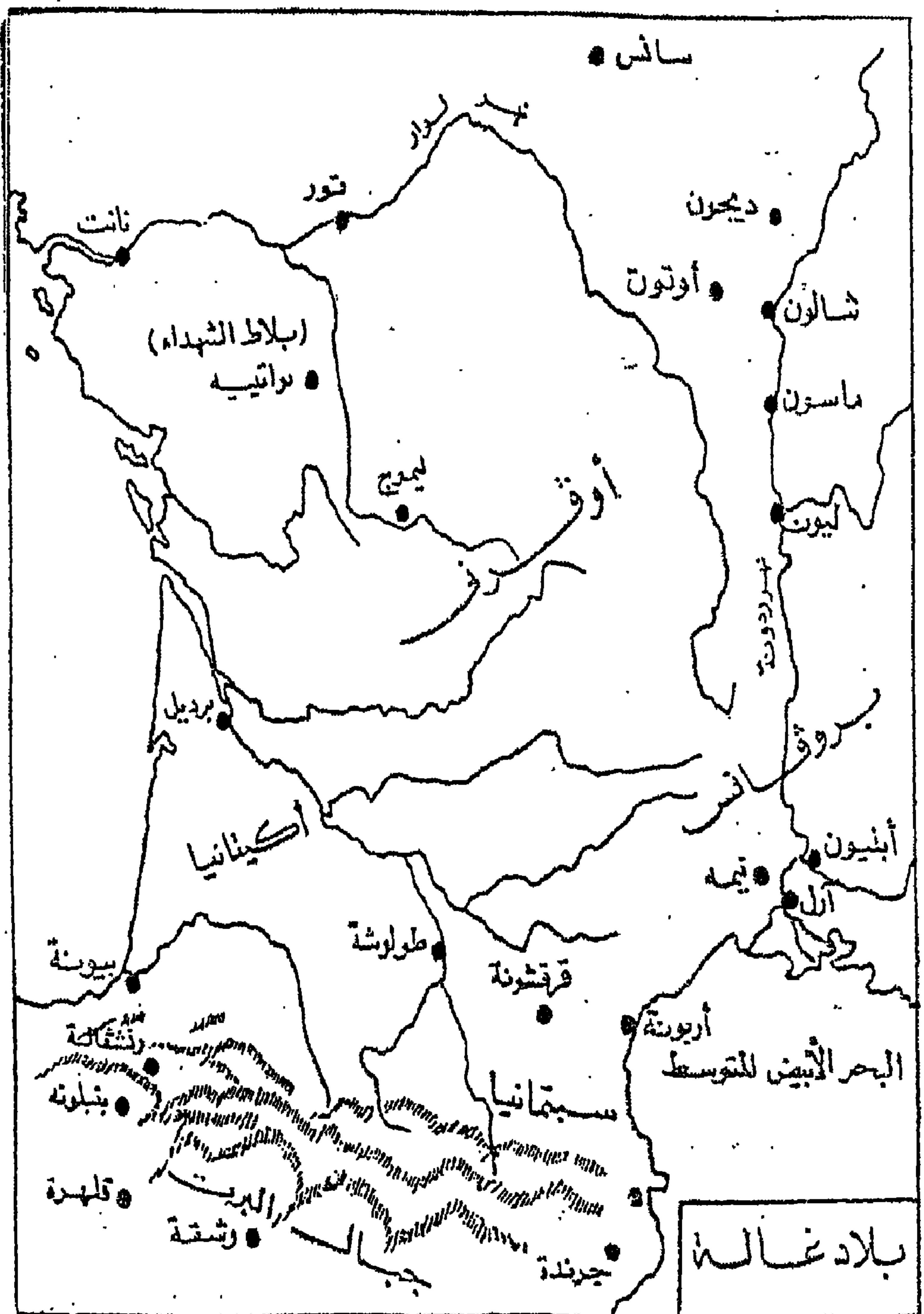
وفي العشر الأخيرة من شهر شعبان سنة ١١٤ هـ (أكتوبر سنة ٧٣٢ م) وتذكر المصادر المسيحية ان المعركة استمرت ثمانية أيام، وإن المسلمين هم الذين بدءوا القتال، وقد زحف البطل عبد الرحمن الغافقي بجيشه اللجب على مدينة " بوايتيه poltlers " وهناك التقى مع جيوش أوروبا الجرارة بقيادة شارل مارتل.

ووقعت بين الفريقين إحدى المعارك الفاصلة لا في تاريخ المسلمين والفرنجة فحسب.

وإنما في تاريخ البشرية كلها.

هـ قد عرفت هذه المعركة بمعركة " بلاط الشهداء " .

* * *



كان الجيش الإسلامي يومئذ في ذروة انتصاراته الباهرة.
لكن كاهله كان مثقلًا بتلك الغنائم التي انصبت عليه انصباب الغيث.
وتكدست في أيدي جنوده تكدس السحب.
وقد نظر القائد العبقري عبد الرحمن الغافقي إلى هذه الثروة الطائلة الهائلة نظرة
قلق واشفاق. وتوجس خيفة منها وأحس بالفزع على المسلمين..
فقد كان لا يأمن أن تشغل هذه النفائس قلوبهم عند اللقاء.
وأن توزع نفوسهم في لحظات البأس والشدة.
وأن تجعل إحدى عيني الواحد منهم على العدو المقبل عليه.
وعينه الأخرى على الغنائم التي في يديه.
ولقد هم بأن يأمر جنوده بالتخلص من هذه الثروات الطائلة الهائلة.
ولكنه خشى ألا تطيب قلوبهم بذلك القرار الخطير.
وآلا تسمح نفوسهم بالتخلي عن ذلك الكثر الثمين.
فلم يجد وسيلة خيرًا من أن يجمع هذه المغانم في مخيمات خاصة.
وأن يجعلها وراء المعسكر قبل إنشاء القتال وإثارة الحرب.
وقف الجيشان الكبيران بضعة أيام كل منهما في مواجهة الآخر في سكون،
وترقب وصمت، كما تقف سلسلتان من الجبال إحداهما في وجه الأخرى.
فقد كان كل من الجيشين يخشى بأس عدوه، ويحسب للقاء ألف حساب.
فلما طال الوقت على هذه الحال، ووجد العبقري القائد الملهم عبد الرحمن
الغافقي مراجل الحمية والإقدام تغلى في صدور رجاله، أثر أن يكون هو البادئ
بالهجوم معتمدًا على مناقب جنده.
متفائلًا بحسن طالعة في النصر.
انقض الفارس البطل عبد الرحمن الغافقي بفرسانه على صفوف الفرنجة

انقضاض الأسود الكاسرة.

وصمد لهم الفرنجة صمود الجبال الراسخة.

وانقضى اليوم الأول من أيام المعركة دون أن ترجح فيه كفة على كفة.

ولم يحجز بين المتقاتلين غير هبوط الظلام على ميدان القتال.

ثم تجدد النزال في اليوم التالي، وحمل المسلمون على الفرنجة حملات باسلة، ولكنهم لم ينالوا منهم وطراً.

وظلت المعركة تدور على هذه الحال سبعة أيام طويلة ثقيلة.

فلما كان اليوم الثامن كر المسلمون على عدوهم كرة واحدة.

ففتحوا في صفوفه ثغرة كبيرة لاح لهم من خلالها النصر كما يلوح ضوء الصبح من خلال الظلام، ورجحت كفة المسلمين، فقد أظهروا ثباتاً واستبسالاً رائعاً، ولكنهم عندما حاولوا التمدد في صفوف الفرنجة ذهبت محاولاتهم عبثاً إذ تماسك الفرنجة ومن انضم اليهم من ألمان وسواف وسكسون، كالأسوار المنيعه، ولم يتركوا للمسلمين مجالاً لاختراقها، ويبدو أن اردو قد عرف نقطة الضعف في جيش المسلمين، لعلاقته السابقة بهم، فقد كان يعرف أن من عادة المسلمين أن يتركوا غنائمهم في مؤخرة الجيش، فالتف مع فرقة من جيشه خلف جيش المسلمين وهاجم مؤخرته، وبلغ هذا الهجوم المسلمين الذي يحاربون في ميمنة الجيش الإسلامي وميسرته فتراجع كثير منهم إلى المعسكر لاستخلاص الغنائم من أيدي الفرنجة، فأخل هذا التراجع بنظام الجيش (راجع غزوة أُحُد للمفكر الإسلامي، أحمد عزوز الفرخ ... نفس السبب في هزيمة المسلمين).

فلما رأى المسلمون أن غنائمهم قد أوشكت أن تقع في أيدي أعدائهم.

تراجع كثير منهم لاستخلاصها منه.

فتصدعت لذلك صفوفهم.

وتضعفت جموعهم.

وذهبت قوتهم وغلبتهم.

فهب القائد العظيم يعمل على رد المنكفئين...

ومدافعة المهاجمين...

وسد الأماكن التي ينفذ منها العدو...

وذهبت محاولات البطل عبد الرحمن عبثا في ذلك...

وفيما كان بطل الإسلام عبد الرحمن الغافقي يزرع أرض المعركة على صهوة جواده الأشهب جيئة وذهابا...

وكر وفر ...

أصابه سهم نافذ فهوى على متن فرسه كما يهوى العقاب من فوق قمم الجبال. وثوى صريعا شهيدا على أرض المعركة. رحمك الله سبحانه وتعالى بقدرته الشاملة المطلقة وصلى عليك قائدك الأعلى لهذه الأمة... قائدنا الأعظم سيدنا محمد ﷺ وكذا آله والصحابة الكرام وأمّهات المؤمنين الكاملات المكملات ولا سيما الحبيبة الأولى أم الإسلام والمسلمين، السيدة الفضلى، سيدة نساء العالمين، حبيبتى، السيدة/ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها، وكذلك كاتب هذه السطور.. سليل قبائل عرب الأنصار الخزرج.. الأنصارى الخزرجى/ أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى الفرخ ... فمثلك أمثال قادة عظام تعلموا في الكلية العسكرية الإسلامية مع قائدها ومعلمها الأول... سيدنا/ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان.

فلما رأى المسلمون ذلك عمهم الزعر وسادهم الاضطراب، وارتبكت صفوفهم، وأحاط بهم الفرنجة من كل مكان، وراحوا يحصدونهم حصداً، واشتدت عليهم وطأة العدو، وصبر المسلمون على مدافعة الفرنجة حتى أقبل الظلام وحلوه،

فحال بين الجيشين، واجتمع كبار رجال الجيش ووجدوا أن صمودهم معناه القضاء على البقية الباقية من جيش المسلمين، واختلفوا على تنصيب خلف للبطل عبد الرحمن الغافقي، فاجتمعوا على الرجوع إلى ديار الإسلام فانتهزوا فرصة ظلام الليل وتسلبوا من معسكرهم تاركين خيامهم وغنائمهم التي لم يتمكنوا من حملها وراءهم إلى الجنوب الشرقي أملا في التحصن بقاعدة المسلمين في سبتمانيا وهي أربونة وذلك في أوائل شهر رمضان سنة ١١٤ هـ (أكتوبر ٧٣٢ م) وهكذا عاد جل الجيش الإسلامي إلى أربونة بعد أن دمر في طريقة ما صادفه من كنائس وأديرة مثل دير سولينياك Soligsac.

أما الفرنجة، فقد باتوا ليلتهم تلك وهم ينوون القضاء على المسلمين. فلما أصبح الصبح وجد " شارل مارتل " أن المسلمين قد انسحبوا من " بوايته ". فلم يجرؤ على مطاردتهم. ولو طاردهم لأفناهم. ذلك أنه خشي أن يكون إنسحابهم مكيدة من مكائد الحرب دبرت في ليل، أو لأنه لقي صعوبة في قتاله للمسلمين. فأثر البقاء في مواقعه مكتفيا بذلك النصر الكبير. لقد كان يوم بلاط الشهداء يومًا حاسمًا في التاريخ. أضاع فيه المسلمين أملاً من أعز الآمال. وفقدوا خلاله بطلاً من أعظم الأبطال. وتكررت فيه مأساه يوم " أحد ". سنة الله في خلقه. ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

هزت أنباء فاجعة يوم بلاط الشهداء نفوس المسلمين في كل مكان هزاً عنيفاً ... وزلزلت لهولها أفئدتهم زلزالاً شديداً ...

وعم الحزن بسببها كل مدينة، وكل قرية، وكل بيت...
وما زال جرحها الموجه يقطر دمًا من قلوبهم دمًا حتى اليوم.
وسيزل ينزف ما بقى على ظهر الأرض مسلم.

* * *

ولا تحسبن أن هذا الجرح العميق الغائر قد أمض أفئدة المسلمين وحدهم.
ولنما شاركهم في ذلك طائفة من عقلاء الفرنجة.
رأوا في انتصار أجدادهم على المسلمين في " بوايته " مصيبه كبرى فجعت
بها الإنسانية.

وخسارة عظمى أصابت " اوربا " في صميمها...
ونكبة جلى نكبت بها الحضارة.

وإذا شئت أن تقف على رأى بعض هؤلاء في فجيرة بلاط الشهداء فاستمع إلى
" هنرى دى شامبون " Henery de Hambone مدير مجلة " ريفي بارلمنتير
" Rive Parlmhlear الفرنسية حيث قال:

" لولا انتصار جيس " شارل مارتل " الهمجي على العرب المسلمين في
فرنسا " لما وقعت بلادنا في ظلمات القرون الوسطى.
- القرون الوسطى هي القرون المظلمة التي تمتد من سنة ٤٧٦ إلى سنة ١٥٠٠ م -
ولما أصيبت بفظائعها.

ولا كابدت المذابح الأهلية التي دفع اليها التعصب الديني المذهبي.
نعم لولا ذلك الانتصار الوحش على المسلمين في " بوابتية " لظلت " إسبانيا
" تنعم بسماحة الإسلام.

ولنجت من وصمة محاكم التفتيش.
- محاكم التفتيش: هي المحاكم التي عقدها فرد يناند فيليب والملكة إيزابيلا

للمسلمين وارتكبا فيها من الجرائم الإنسانية ما يندى له جبين التاريخ.

ولما تأخر سير المدينة ثمانية قرون...

ومهما اختلفت المشاعر والآراء حول انتصارنا ذاك.

فنحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا من العلم، والفن، والصناعة.

مدعون لأن نعترف بأنهم كانوا مثال الكمال البشرى.

فى الوقت الذى كنا فيه مثال الهمجية.

وافترأ ما ندعيه اليوم من أن الزمان قد أستدار.

وأن المسلمين وصلوا فى هذا العصر إلى ما كنا عليه فى العصور الوسطى " وبعد هذه الموقعة التى سماها مؤرخو العرب " بلاط الشهداء " لكثرة من استشهد فيها من المسلمين^(١) وتعتبر هذه الموقعة من المواقع الفاصلة فى التاريخ العام، وذلك لما ترتب عليها من نتائج، إذ أنها وضعت حدًا للتوسع الإسلامى فيما وراء جبال البرت. وأصبح قادة المسلمين فى الأندلس يحسبون لقوة قارلة " شارل مارتل " حسابًا كبيرًا . أحدثت كارثة للمسلمين فى بلاط الشهداء دويًا هائلًا فى إفريقيا والأندلس، فأسرع والى افريقية بتنصيب وال من قبله على الأندلس هو عبد الملك بن قطن الفهرى. وفطن عبد الملك أول ولايته إلى الأثر السيء الذى أحدثته هزيمة " أهل البلاط " فى نفوس سكان شمالى الأندلس الجبليين (البشكنس)، وسكان سبيماينا ومايلها

(١) مر مؤرخو العرب مرًا سريعًا على هذه النكبة التى حلت بجيش المسلمين فى غالة، بل أن كثيرًا منهم أخطأ فى نسبة هذه الهزيمة إلى عبد الرحمن الغافقى، ومن هؤلاء ابن حيان وابن خلدون، ولقد سميت بلاط بسبب وقوعها بالقرب من الطريق الرومانى المرصوف لأن كلمة بلاط تؤدى معانى كثيرة، فهى تعنى القصر قبل بلاط مغيث، ولكنها لا تؤدى هنا هذا المعنى، كما أنها تعنى الممر الواقع بين صفى أعمدة وأقواس كما فى أوراق المساجد، وهو معنى بعيد أيضًا عما يقصدونه ببلاط، والمعنى الثالث الكلمة بلاط الذى ينطبق على بلاط الشهداء هو الطريق المرصوف أو الأرض المستوية أو الساحة الفسيحة المرصوفة (انظر الشريف الأدريسى: وصف المسجد الجامع بقرطبة، نشر وترجمة Alfred Dessus Lamare، بالجزائر سنة ١٩٤٩، ملحوظة رقم ٥١ ص ٢٨، وانظر كذلك مقال بلاط الشهداء E.ncyclopedie deo Islam هنا وليس من الضرورى أن الموقعة قد حدثت بالقرب من حصن أو قصر عظيم كما يذكر الدكتور حسين مؤنس (فجر الأندلس ص ٢٧١) فالمعروف أن الموقع كانت تحدث فى مواضع مستوية بعيدة عن العمران.

من بلاد غالة "فرنسا" فغزا أرض البشكنس سنة ١١٥ هـ فأوقع بهم وغنم^(١)، ثم عبر جبال البرت إلى بلاد لانجدوك، وعمل على تحسين المدن.

والمعاقل التي كانت في أيدي المسلمين، وكانت الفوضى مستحكمة وقتئذ ببلاد سبتمانيا وبروفانس على أثر هزيمة المسلمين في بلاط الشهداء، وكان أمراؤها قد انتهزوا تقهقر جيوش المسلمين من بروفانس إلى أربونة، وانشغال قارلة (شارل مارتل) ببسط سلطانه على برغنديّة وشمالي بروفانس، وهى المناطق التي غزاها المسلمون أيام عنبسة بن سحم الكلبي، ثم اضطروا إلى الجلاء عنها، وانشغاله بعد ذلك بإخضاع الفريزون Frisons وهم أهل نهر الرين الأدنى، ثم توزعوا البلاد فيما بينهم، وعمد بعضهم إلى مخالفة المسلمين في أربونة لاتقاء بأس قارلة، من أمثال هؤلاء مورونت Maurontes دوق مرسيلية الذى كان قد اقتطع لنفسه معظم إقليم بروفانس^(٢). وتمكن هذا الحاكم الإفرنجي من الاتفاق مع حاكم أربونة المسلم وتسمية مدونة موساك باسم يوسف بن عبد الرحمن Jussph Abin Abderahman، وهو نفس يوسف بن عبد الرحمن الفهرى آخر ولاة الأندلس من قبل الدولة الأموية، على مهاجمة وادى ردونه^(٣) بعد مضى سنتين من هزيمة بلاط الشهداء، أى في سنة ٧٣٤ م. فلقد أعد الحاكمان جيشاً كثيفاً عبر نهر ردونة، واستولى على مدينة آرل، ونهب أديرة سان أبوترى Apotres. dests، ودير العذراء، وهدم ضريح سان سيزير St. Cesaires، ثم زحف الجيش إلى قلب بروفانس واستولى على مدينة فرتيا Fretta المعروفة اليوم بسان ريمى دى بروفانس St - Remi - de - Provence، وأدرك صخرة أبنيون. AviGnon وافتتحها بعد قتال عنيف، ووصل المسلمون بعد ذلك حتى أعالي نهر دورانس، وتمكنوا من احتلال بلاد بروفانس زهاء أربع سنوات أى حتى سنة ١٢٠ هـ الموافق

(١) المقرئ، نفح الطيب ج ١ ص ٢٢٠.

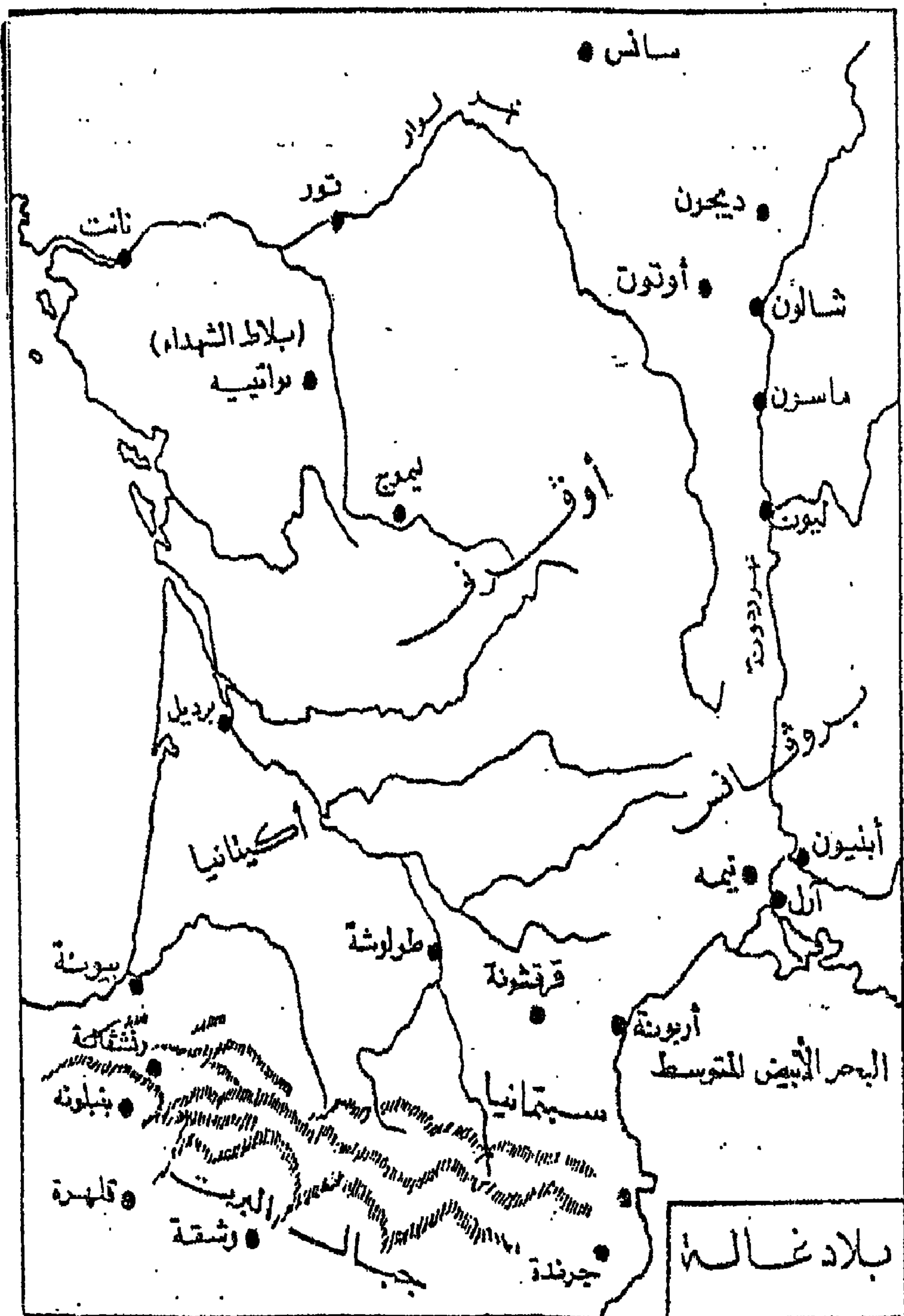
(٢) شكيب أرسلان، ص ١٠٤ - حسين مؤنس ص ٢٧٧.

(٣) كان يوسف الفهرى عاملاً على أربونة في عهد عبد الملك بن قطن، وفي عهده صار رباط المسلمين على نهر ردونة (انظر نفح الطيب ج ١ ص ٢٢٠).

٧٣٨ م، ثم أرغموا قارلة بعد ذلك على العودة إلى أربونة بعد أن ضم أكتانيا إلى ممتلكاته عقب وفاة دوق أود سنة ٧٣٥ م^(١).

* * *

(١) شكيب ارسلان ص ١٠٥ - حسين مؤنس ص ٢٧٨.



خريطة توضح عز وقوة وشكيمة الإسلام في قارة أوروبا وهي حالياً بلاد: أسبانيا، البرتغال، فرنسا.... ومعدرة لقائد الأمة الإسلامية سيدنا محمد ﷺ ولقادة المسلمين العظام وجنودهم البواسل الليوث الثائرة على ضياع ممالك الإسلام والدين الإسلامي الحنيف في هذه البلاد.

وكان عبد الملك بن قطن قد عزل في رمضان سنة ١١٦ هـ (٧٣٤ م) عن إمارة الأندلس لظلمه وجوره^(١).

وتولى مكانه عقبة بن الحجاج السلولى من قبل عبيد الله بن الحبحاب، وكان عقبة هذا محمود السيرة مجاهدًا، فأغار بجيشه على منطقة دوفينه dauphine، وخرب بلدة سان بول المعروفة بالقصور الثلاثة Trois Chateaux ومدينة دونزير Donzaire^(٢) واستولى على مدينة فالنس valence الواقعة على نهر ردونة، وخرب كنائس منطقة فنين (على نهر ردونة)، وهنا بعث قارلة (شارل مارتل) أخاه شيلد براند Childebrand على رأس جيش إلى ليون لإيقاف تقدم المسلمين وإجلائهم عن البلاد، كما أرسل إلى لويثيراند Luitprand ملك اللومبارديين يستنجده ضد المسلمين ويسأله مهاجمتهم من الشرق، فقدم شيلد براند وحاصر المسلمين في أبنيون، ويتبعه قارلة بجيش آخر لإحكام الحصار حول أربونة، وفي الوقت نفسه أقبل لويثيراند بجيوشه من جهة بيمونت، فاستمات المسلمون بداخل المدينة في الدفاع عنها، ولكن الفرنجة دخلوها عنوة، واستأصلوا من بها من المسلمين، وزحف جيش الفرنجة بقيادة قارلة نحو أربونة بقصد الاستيلاء على سبتمانيا بعد ضم بروفانس، وحاصر قارلة عاصمة الإقليم، فلما علم عقبة بأن قارلة قد ضيق الحصار على أربونة أرسل جيشًا لنجدة أهل المدينة تحت قيادة رجل يسميه إيزيدور الباجي Amorlben Ailet ولعله عامر أو عمر بن الليث، وقدم هذا الجيش بحرًا نظرًا لوجود البشكنس حائلًا بين الأندلس وسبتمانيا، ويبدو أن قارلة " شارل مارتل " علم بوصول هذه النجدة ففاجأها على نهر برى Berre Fluvio وأنزل بها هزيمة نكراء، وقضى على معظمها، وقتل قائدها عمر، ولم ينج من المسلمين سوى فل قليل عاد بعضهم إلى سفنهم، وفر الباقيون إلى أربونة، حاول قارلة بعد ذلك أن يستولي على المدينة ولكن أهلها استبسلوا في

(١) المقرئ، نفح الطيب ج ١ ص ٢٢٠ - شكيب أرسلان ص ١٠٥.

(٢) شكيب أرسلان ص ١٠٥ - حسين مؤنس ص ٢٨٠ وما يليها.

الدفاع عنها، فاضطر أخيرًا إلى رفع الحصار^(١) عنها، خاصة عندما بلغه قيام الفريزون والسكسون بالثورة عليه، وقام أثناء عودته إلى الشمال بتخريب القلاع الإسلامية في سبتمانينا، مثل بيزيه Beziers، واجدة Agde ونيم Nimes، وماجلون Maguillon وأسر من كان بهذه المدن من المسلمين وكبار الغاليين، وقاد هؤلاء معه كرهائن حتى يرغب أهل سبتمانينا على خذلان المسلمين، أذ أن هؤلاء السكان كانوا ينظرون إلى قارلة وقومه كبرابرة من أهل الشمال، بينما يعتبرون أنفسهم أمة متحضرة ورثت مدنية الرومان^(٢).

ما كاد قارلة "شارل مارتل" يعود إلى الشمال حتى ظهر موروونت دوق مارسيليا من جديد، وأخذ يجدد علاقاته مع المسلمين، فخاف قارلة من نتائج ذلك، وعمد إلى القضاء على موروونت، فزحف إلى الجنوب، هو وأخوه شيلد براند سنة ٧٣٩ م، واستوليا على مارسيليا، وقضى بذلك على آمال موروونت في إقامة دولة مستقلة تتعاون مع المسلمين.

ثم ابتسم الحظ للمسلمين، ورضى الله سبحانه وتعالى عليهم بدعاء قائد هذه الأمة الإسلامية سيدنا محمد ﷺ، إذ توفي قارلة "شارل مارتل" الملعون من المسلمين إلى يوم الدين ذو القلب والمشاعر والأحاسيس السوداء الحالكة ضد الإسلام والمسلمين سنة ٧٤١ م وكذلك دعاء كاتب هذه السطور وآهله وذريته إلى يوم الدين الأنصارى الخزرجى/ أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى محمد الفرخ سليل قبائل عرب الأنصار الخزرج، الذين لهم جذور عائلية في الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى الآن وهى أسر أطلق عليها القياسية Chaiys نسبة إلى الأب الأكبر قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه، وهناك بعض الأسر تحتفظ بهذا الاسم إلى الآن؟ كما هى عادة الأجانب وذلك أنهم تركوا الأندلس أيام محاكم التفتيش الإرهابية واضطربت أحوال الدولة الميروفنجية بعد وفاته، وكان في مقدور المسلمين أن

(١) شكيب أرسلان، عن رينو ٤ Reinaud ص ١٠٧ - حسين مؤنس، فجر الأندلس ص ٢٨٤.

(٢) لم يطل العهد بأرنوثة إذا استولى عليها بن قارلة سنة ١٤٣ هـ (٧٥١ م).

يستغلوا هذه الفترة ويتوسعوا في غالة "فرنسا"، ولكنهم انهمكوا في القضاء على ثورة البربر، وكان عبد الملك بن قطن الفهري قد وثب سنة ١٢١ هـ ومن معه من اليمنية على ولاية الأندلس.

واغتصبها من الحجاج^(١)، واستبد بالبلاد، واشتعلت على يديه نيران الفتنة، بين العصبيتين اليمنية والمضرية في الأندلس، إذ أنه استعان بالعرب الشاميين الذين كان يحاصره البربر في سبتة لإخماد ثورة البربر البلديين في شمال الأندلس بجليقية والدروب واسترقة وطليلة، ثم أراد أن يخرجهم من الأندلس إلى حيث كانوا بسبتة، مدفوعاً في ذلك بعصبيته ضد الشاميين، لأنه كان قد شهد موقعه الحرة^(٢)، وهو صغير ولم ينسى أهوالها، فأخرجوه من قصره إلى داره، كأنه "فرخ نعامة لكبر سنه"، وهم ينادونه "أفلت من سيوفنا يوم الحرة، فطلبتنا بثأرنا في أكل الدواب والجلود، ثم أردت إخراجنا إلى القتل"، ثم قتلوه وصلبوه وأصلبوا خنزيراً عن يمينه وكلباً عن شماله^(٣).

فلما علم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي صاحب أربونة، وقائد جيش المسلمين في غالة "فرنسا" بمقتل عبد الملك بن قطن غضب غضباً شديداً وعزم على

(١) يقول صاحب أخبار مجموعة عن عقبة، أنه "افتتح الأرض حتى بلغ أربونة، وافتتح جليقية وألية وبنبلونة، ولم تبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة فإنه لا ذبها ملك لقال له بلاى، فدخلها في ثلاث مائة رجل، فلم يزالوا يقاتلونه ويغاورونه حتى مات أصحابه، وترامت طائفة منهم إلى الطاعة، فلم يزالوا بنقصون حتى بقى في ثلاثين رجلاً ليست معهم عشر نسوة فيما يقال إنما كان عيشهم بالعسل، ولا ذوا بالصخرة، فلم يزالوا يتقوتون بالعسل معهم جباح والنحل عندهم في خروق الصخرة، احتيوزوا، واعيا المسلمين أمرهم فتركهم وقالوا ثلاثين علجاً ما عسى أن يكون أمرهم، واحتقروهم... " (أخبار مجموعة ص ٢٨، ابن عذري ج ٢ ص ٤١) وذكر ابن عذري أنه "كان يجاهد المشركين في كل عام، ويفتح المدائن وهو الذي فتح مدينة أربونة وافتتح جليقية وبنبلونة، واسكنها المسلمين، وعمت فتوحاته جليقيه كلها غير الصخرة فإنه لجأ إليها... " (البيان المغرب ج ٢ ص ٤١). وذكر المقرئ أنه كان مظفراً حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة، وصار رباطهم على نهر ردونة. (المقرئ، نفح الطيب ج ١ ص ٢٢٠).

(٢) موقعه دارت بين الخليفة الأموي الثاني يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وأهل المدينة المنورة سنة ٦٢ هـ، بالقرب من المدينة المنورة بسبب مقتل الإمام الحسين وأهل بيته الكرام، فلها أشفوا غليلهم الأمويين بقتل زهرة شباب أهل المدينة المنورة من أبناء الضحابة بطريقة بشعة.

(٣) أخبار مجموعة ص ٤٢ - ابن عذري ج ٢ ص ٤٥.

الانتقام من الشاميين، فحشد جيشًا مؤلفًا من غالبته عساكر المسلمين في أربونة^(١)، وأقبل به إلى الأندلس لمحاربة بلج بن بشر القشيري والشاميين، وتضخم بمن انضم إليه من عسكر الثغر، واشتبك جيشه مع جيش نجلج بن بشر في موضع يقال له أقوة برطورة Agua Bortora من إقليم ولبة Huelva، فانهزم جيش عبد الرحمن وقتل من قواته نحو عشرة آلاف، ولكن عبد الرحمن تمكن من قتل بلج بن بشر القشيري بسهم فوقه إليه ثم انصرف عبد الرحمن بن علقمة إلى الثغر^(٢).

والواقع أن رحيل عبد الرحمن بن علقمة إلى الأندلس مع جيوش المسلمين، كان له أثر سيئ على مركز المسلمين في غالة، إذ أنه رحل إلى الأندلس بعد أن سحب معظم قوات المسلمين، ونتيجة لذلك خرجت كثير من مدن سبتمانيا عن الحكم الإسلامي، مثل نيم ومجلونة وأجدة وبيزييه^(٣)، كما استقلت بعض إمارات البترتات مثل قنطابرية ونبرة.

ولما تولى يوسف بن عبد الرحمن الفهري إمارة الأندلس أنفذ ابنه عبد الرحمن على رأس جيش إلى أربونة وما يليها لضبطها، ويبدو أن عبد الرحمن فشل في مهمته بسبب ضعف النفوذ الإسلامي هناك، وبسبب انقطاع الاتصال بين الأندلس وسبتمانيا عقب انتفاض أهل جليقية على المسلمين، وتغلب بلاى على أشتوريش، وانتهاز بين الثانى ابن قارلة " شارل مارتل " المعروف باسم Pepin Lebreف هذه الفرصة وعجل بالسير نحو أربونة قبل أن يسبقه إليها فايفر Vaifre ابن أودو. (لاحظ أيها القارئ الكريم المحب لله ولرسوله وللإسلام مدى توارث الأحقاد السوداء بين ملوك أوروبا لأبنائهم نحو الإسلام والمسلمين .. ليتنا نتعلم من هذه الدروس.. التى ضيعت أشياء كثيرة من الإسلام وبلاد الإسلام، والتى مازلنا نعيش فيها.. وكانت هذه الأسباب ضياع دولة الإسلام بالأندلس وغيرها من بلاد أوروبا..

(١) ذكروا أن عدد جنود جيشه بلغ مائة ألف (انظر مجموعة ص ٤٣) ويذكر أن القوطية أن عدد قواته بلغ ٤٠ ألفًا، وهذا العدد أقرب إلى الصواب.

(٢) ابن القوطية ص ١٦ وما يليها - أخبار مجموعة ص ٤٣.

(٣) شكيب أرسلان ص ١١٢ - حسين مؤنس ص ٢٨٨.

صرخة مدوية يطلقها كاتب هذه السطور.. الأنصارى الخزرجى/ أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى محمد الفرخ ... ليتنا نتعلم الدروس.. ونورث لأبنائنا الإسلام الحق).
دوق أكيثانيا سار بين إلى اللانجدوك واستولى على نيم وأجدة ومجلونة وبيزييه، ومن هناك تقدم إلى أربونة حيث حاصرها، وضيق عليها، وافتتحها سنة ١٣٣ هـ (٧٥٢)، وإن كان رينو يؤكد أنه لم يفتتحها إلا عام ١٤١ هـ (٧٥٩)^(١).

ثم أخذ نفوذ الفرنجة في أواخر أيام بين وبداية عهد ابنه شارل المعروف بشارلمان يتغلغل في شبه جزيرة أيبيريا (كانت هناك مودة واتصالات بين شارلمان هذا والخليفة العباسى الخامس هارون الرشيد وهو ابن بين ابن قارله " شارل مارتل " .. انظر أيها المسلم كيف تتوراث الأحقاد المسمومة ضد الإسلام والمسلمين والمسلمون وهم غافلون منشغلون بالعصبية القبلية وكرسى الحكم والسلطان والإسلام يضيع بينهم .. فكان هذا " كارلوس الكبير الملقب " بشارلمان " يرسل إلى بغداد سفراء يستجلبون رضا هارون الرشيد، وكان شارلمان غرضه من مصافاة هارون الرشيد، هى إضعاف الدولة الأموية بالأندلس، ولما قدم سفير شارلمان قابله بمزيد الإكرام، واستفاد شارلمان من ذلك التودد فائدتين:

الأولى: تمكنه من حرب الدولة الأموية بالأندلس وتداخله في مساعدة الخارجين عليها.

والثاني: نيله رضا هارون الرشيد.

وتمت مبادلة الهدايا بينهما، وأرسل من يتعلم مهنة الطب - إذا كانت أوروبا في ذلك الوقت تعيش في جهالة وظلام دامس بالنسبة للعلم والحضارة والمعرفة بعكس

(١) شكيب ارسلان، نفلا عن رينوس ١١٣، ذكر رينو Renwou أن بين اضطر إلى رفع الحصار عن أربونة، فلما كان عهد عبد الرحمن الداخل " صقر قريش " فكر في تدعيم السلطان الاسلامى في مدينة أربونة وما يليها، وانفذ جيشاً تحت قيادة أمير اسمه سليمان أملاً في تخفيف الضغط عليها، ولكن النصارى هاجموا الجهش الإسلامى فى شعاب الجبال وهزموه هزيمة شنعاء، وانتهم نصارى أربونة هذه الفرصة واتفقوا مع بين سرّاً على تسليم المدينة نظير أن يتركهم أحراراً في مدينتهم، وفاجأوا الحامية الإسلامية وقتلوا رجالها جميعاً، وسلموا المدينة للفرنجة سنة ٧٥٩ م (انظر شكيب ارسلان ص ١١٣ - فجر الأندلس ص ٢٩١).

بغداد - عاصمة الأمبراطورية الإسلامية في ذلك الوقت.

وكانا علاقة بغداد بقرطبة، فكانت شر علاقة، إذا أن هارون الرشيد كان ينظر إلى دولة بنى أمية نظر الخارجين على دولته، فكان يود محوهم، ولكن القوم كانوا أكبر من ذلك بكثير، فقاوموا هذا الشارلمان الملعون من أبيه وجده عند المسلمين السابقين والحاضرين مقاومة عظيمة، ولم يتمكن أن يفعل بهم شرًا .

وللقارئ الرأي والتعليق.....!!!

وفى سنة ١٦٩ هـ (٧٨٥ م) سلمت مدينة جرندة للقوات الإفرنجية، وذلك قبل وفاة الأمير (عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك - صقر قریش) بزمان وجيز، كذلك أغزى الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية قائدة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث بالصائفة إلى هذه المدينة، ولكنه لم ينجح في الاستيلاء عليها، فرفع عنها الحصار، واستمر في زحفه إلى سبتمانيا، حتى انتهى " إلى مدينة أربونة فأوقع بها وأحرق أرباضها^(١)، وكان لويس " لويز الأول " بن شارلمان ملك أكتيانا مشغولا في حروبه بإيطاليا، وكان أبوه شارلمان مشغولا بمقاتلة الآقاريين، فاضطر دوق طولوشه جيين Guillen المعروف في شعر الملاحم الفرنسية باسم جيوم ذى الأنف القصيرة Guillaume Aunez Couht إلى صد الجيش الإسلامي الذى تأهب للتقدم نحو قرقشونة، والتقى الجيشان على ضفاف نهر أربونة بالقرب من قرية فيلدينى Villedaigne، وتقع بين قرقشونه وأربونة، وفيها انهزم جيش جيوم هزيمة نكراء^(٢)، وغنم المسلمون غنائم هائلة، وحملوا معهم إلى قرطبة عددًا كبيرًا من الأسرى، ويذكر ابن عذارى أن عبد الملك بن مغيث جال في بلاد العدو شهورًا يحرق القرى ويخرب الحصون^(٣) وأن كان بعض المؤرخين العرب يؤكد أن عبد الواحد بن مغيث أفتتح أربونة وأن الأمير هشام (١٧٢ - ١٨٠ هـ) أقام

(١) ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٩٥.

(٢) شكيب أرسلان ص (١٢٧).

(٣) ابن عذارى ص (٩٥)

قنطرة قرطبة وجامعها من خمس غنائمة^(١).

ولا شك أن المسلمين اقتصروا على الإغارة على أربونة وما يليها، وأنهم لم يفتحوا عاصمة سبتمانيا بدليل أن المدونات المسيحية لم تشر إلى شيء من ذلك، ثم إن المقرئ يعاود الحديث عن مهاجمة المسلمين لبلاد الفرنجة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ)، فقد "أغزى حاجبه عبد الكريم في العسكر إلى بلاد برشلونة فعاث في نواحيها، وأجاز الدروب التي تسمى البرت إلى بلاد الفرنجة، فدوخها قتلاً وأسرًا وسبيًا، وحاصر مدينتها العظمى جرندة وعاث في نواحيها، وقتل"^(٢)، وقد أحاط الأعداء بعساكره ليلاً عندما عسكرت بين أربونة وشرطانية Cerdana فقاتلهم المسلمون الليل كله وهزموهم^(٣) وعاد المسلمون غزو أربونة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ هـ - ٢٧٣ هـ)، فقد ذكر ابن بشكوال أن من أبواب قصر قرطبة باب يطل على السطح المشرف "وعليه باب حديد فيه حلق لاطون، قد أثبت في قواعدها، وقد صورت صورة إنسان فتح فمه، وهى حلق باب مدينة أربونة من بلد الإفريج، وكان الأمير محمد قد افتتحها، وجلب حلقها إلى هذا الباب"^(٤).

ومع كل هذه الغزوات، فقد امتنعت أربونة على المسلمين، واستعصت عليهم، ولم يمض عهد قصير حتى انقطعت هذه الغزوات تمامًا، بانقطاع الاتصال بين الأندلس وسبتمانيا.

المفكر الإسلامى

أحمد عزوز الفرخ

(١) ابن القوطية ص (٤٣). وذكر المقرئ أن مدينة أربونة فتحت في أيام الأمير هشام الذى اشترط على المعاهدين من أهل جليقية من صعاب شروطه انتقال عدد من أحمال التراب من سور أربونة المفتحة يحملونها إلى باب قصره بقرطبة، وبنى منه المسجد الذى قدام باب الجنان، وفضلت منه فضله بقيت مكومة " - ج ١ ص ٢١٦ - وفى موضوع آخر يقول إنه ازاد في جامع قرطبة زيادته المشهورة من خمس في أربونة (ج ٢ ص ٩٧). ويحدد ابن عذارى هذا القدر بنحو ٤٥ ألفاً من الذهب العين (ابن عذارى ج ٢ ص ٩٥)

(٢) المقرئ، نفح الطيب ج ١ ص ٣٢٤.

(٣) ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ١٢٩.

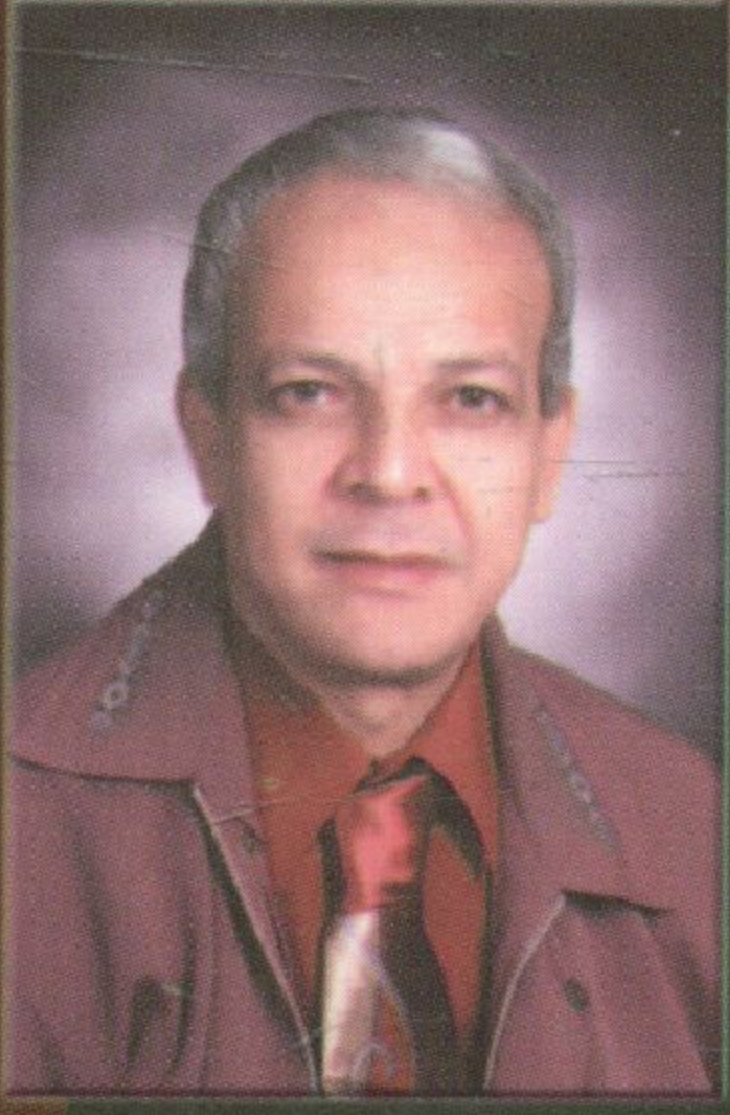
.. كان أبو مسلم الخولاني، يقوم الليل، فإذا أدركه الإعياء ضرب رجله قائلًا:
أنتما أحق بالضرب من دابتي، أيقظ أصحاب محمد ﷺ، أن يفوزوا به دوننا، والله
لأزاحمهم عليه، حتى يعلموا أنهم خلفوا من بعدهم رجالًا..

أحمد عزوز الفرخ

* * *

إبداعات صدرت للمؤلف المفكر الإسلامي/ أحمد عزوز الفرخ

- ١ - فتاوى أمير المؤمنين/ المكتبة المحمودية/ بجوار جامع الأزهر/ القاهرة.
- ٢ - الإمامان الحسن والحسين/ المكتبة المحمودية/ بجوار جامع الأزهر/ القاهرة.
- ٣ - أجمل ما قرأت/ المكتبة المحمودية/ بجوار جامع الأزهر/ القاهرة.
- ٤ - أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بن عوام/ المكتبة المحمودية/ القاهرة.
- ٥ - سيدة نساء العالمين أم الإسلام السيدة الفضلى خديجة بنت خويلد/
دار الحسين الإسلامية خلف جامع الأزهر/ القاهرة.
- ٦ - بنات الإمام الحسين: السيدة سكينه، السيدة/ فاطمة / دار الحسين
الإسلامية/ خلف جامع الأزهر/ القاهرة.
- ٧ - مناسك الحج والعمرة/ دار الحرم للتراث/ أمام باب كلية الشريعة خلف
جامع الأزهر/ القاهرة.
- ٩ - أعمام النبي ﷺ / مركز الإسكندرية للكتاب/ الإسكندرية/ أمام باب كلية
الحقوق.
- ١٠ - غزوة بدر الكبرى/ مركز الإسكندرية للكتاب/ الإسكندرية/ أمام باب
كلية الحقوق.
- ١١ - الصحابي الجليل/ سعد بن عبادة/ مركز الإسكندرية للكتاب.
- ١٢ - الصحابي الجليل/ قيس بن سعد بن عبادة/ مركز الإسكندرية للكتاب.
- ١٣ - غزوة أحد/ مؤسسة الشروق ودار البدر ومؤسسة السماحة ش البيطار/
خلف جامع الأزهر/ القاهرة.
- ١٤ - الأسطورة عبد الرحمن الغافقي/ مؤسسة الشروق ودار البدر ومؤسسة
السماحة ش البيطار/ خلف جامع الأزهر/ القاهرة.



"لولا انتصار شارل مارتل الهمجي على المسلمين
وقائدهم الغافقي ، لظلت إسبانيا تنعم بسماحة الإسلام
ولما تأخر سير المدنية في أوروبا ثمانية قرون"

أحد مؤرخي

هنري دي ش

le Hambone

Bibliotheca Alexandrina



1218025

مؤسسة شروق - دار البدر

نشر - توزيع - ترجمة

٦ اش البيطار - الأزهر - القاهرة

جمهورية مصر العربية

٠٠٢ ٠٢-٢٥١١٤١٥١ ٠١٠٠١٧١٥٤٧٥ ٠١٠١٢١١١٧٤١

Email: darbadr2006@hotmail.com